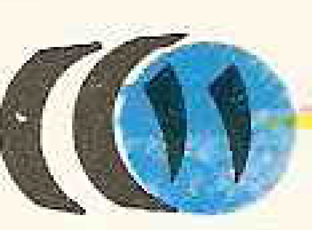


إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم (١٩)



الانتقام الدامى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

موضوع هذه السلسلة

فى أحد المواقع الهادئة التى تطل على نيل مصر الساحر يقوم المبنى رقم ١٩ ، وهو مبنى مكوّن من أربعة طوابق ، تحيط به حديقة جميلة واسعة ، ومكان لانتظار السيارات ، ومحاط بسور عالٍ تحفه أشجار النخيل التى تحجبه عن الأنظار ، كما أن أبوابه الحديدية لا تفتح إلا إليكترونيًّا بواسطة بطاقة خاصة ورقم سرى لا يعرفه إلا العاملون به .

فى داخل هذا المبنى الهادئ المنعزل ، والذى يلفه السكون والغموض ، توجد (إدارة العمليات الخاصة) أو رجال (المكتب رقم ١٩) كما يطلقون عليهم فى إدارة مباحث أمن الدولة ، وهى الإدارة التى يتبعونها .. وهم مجموعة من أكفأ الضباط الحاصلين على أعلى مستوى من التدريب والإعداد ، الذى يمكن أن يحصل عليه رجال المخابرات والمباحث فى العالم كله ، من فنون قتالية ومهارة فى استخدام السلاح ، والتدريب الجيد على استخدام وسائل التكنولوجيا ، كما أنه لا يختار لهذه الإدارة إلا من كان على أعلى مستوى من الذكاء والاستعداد الدائم للقيام بالمهام الانتحارية والعمليات الصعبة . وعلى الجملة فإن هذا المكتب هو وحدة من (الكوماندوز) لا يسند إليه إلا نوعيات خاصة من الجرائم التى تتسم بطابع شديد الخطورة

والخصوصية ، وذلك كما هو واضح من اسمه (إدارة العمليات الخاصة) . وهو يضم — إلى جانب الضباط الذين يكلفون هذه المهام — عددًا من العلماء والخبراء فى التدريب والأجهزة العلمية المستحدثة ، لمجابهة الأساليب العلمية المتقدمة فى المجال الإجرامى .

ويرأس هذه الإدارة اللواء (مراد حمدى) ، وهو رجل معروف فى الأوساط الأمنية بصلابته ، وبأنه لا يؤمن فى مجال عمله بكلمة المستحيل .

كما أن من أبرز رجال هذه الإدارة أيضًا — وهو الذى تدور حوله موضوع مغامرات هذه السلسلة — المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، وهو رجل ذو ذكاء حاد ولياقة عالية ، ولا يهاب الموت ؛ لأنه يعتبره صديقًا دائمًا له فى كل مهمة تسند إليه .

ومن داخل هذا المبنى سيكون لقاؤنا المستمر بهذه السلسلة من (المغامرات البوليسية الرائعة) ، ومع بطل هذه المغامرات المقدم (ممدوح) الضابط بإدارة العمليات الخاصة أو المكتب رقم ١٩

سنعيش أحداثها التى تفوق الخيال ، مترقبين فى كل لقاء مغامرة جديدة وأحداثًا مثيرة .

المؤلف

١ — انتقام الرجل الملثم ..

غادر المقدم (رءوف) مكتبه بإدارة العمليات الخاصة ، قاصدًا منزله ؛ وهو محمل بالعديد من الهدايا ، ووجهه ينطق بالبشر والسعادة .. فقد كان اليوم هو عيد ميلاد ابنه الصغير (وائل) .

غير أنه لم يكد يفتح باب منزله ، حتى أحس بسكون غامض يخيم على شقته ، ولم يجد أى مظهر من مظاهر الاحتفالات المعتادة فى مثل هذا اليوم .

انقبض صدره ، وأخذ ينادى زوجته وابنه بصوت عالٍ ، ولا مجيب .

وبينما هو فى حيرته سمع صوتا يصدر من غرفة الاستقبال .. أسرع بفتح باب الغرفة ، ليجد زوجته جالسة فى المقعد الذى فى المواجهة ، تحتضن ابنها الصغير ، الذى كان يرتعد بين يديها ، وعلى وجهها ارتسمت أمارات الذعر والفزع .

اندفع (رءوف) نحوهما متسائلا :

ــ ماذا حدث ؟ ولماذا ترتعدان هكذا ؟

وقبل أن يسمع من زوجته أى إجابة سمع صوتا يأتيه من الخلف قائلا :

ــ لقد انتظرناك طويلا يا سيادة المقدم .. فقد تأخرت عن موعد حضورك هذه الليلة .

التفت (رءوف) خلفه ليجد أمامه ثلاثة رجال مسلحين وقد وضعوا على وجوههم جوارب من النايلون تخفى ملامحهم .

فقال لهم بدهشة :

ــ من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟

رد أحدهم :

ــ نريد منك أن تأتى معنا لتصحبنا فى نزهة قصيرة .

رءوف :

ــ لن أذهب معكم إلى أى مكان .

الرجل المسلح :

ــ حسنا .. سنأخذ المرأة والطفل ، وتبقى أنت هنا .

وفكر (رءوف) فى الإمساك بمسدسه المعلق فى الحزام الذى حول كتفه .. ولكنه عدل عن ذلك مخافة أن تتعرض حياة زوجته وطفله للخطر .

نكّس رأسه مستسلما وهو يقول :

ــ حسنا سآتى معكم .

الرجل المسلح :

ــ هكذا يكون تصرف العقلاء .. تقدمنا يا سيد (رءوف) .

رءوف :

ــ ولكن إلى أين سنذهب ؟

الرجل المسلح :

ــ ستعرف ذلك فى الوقت المناسب .

هبّت الزوجة واقفة تحتضن زوجها وهى تقول فى خوف وفزع :

ـ لا .. لا تذهب معهم .. إنهم يضمرون لك الشر .

وطمأنها (رءوف) قائلا :

ـ لا تقلقى وحاولى أن تتماسكى أمام الطفل .. ولن تطول غيبتى عنكم .

واقتاد الرجال المقدم (رءوف) إلى المصعد الخاص بالمنزل .. وهمت الزوجة أن تصرخ ، فأسرع أحدهم نحوها واضعا كفه على فمها قائلا :

ـ عليك أن تحسنى إغلاق فمك تماما إذا كنت حريصة على أن يظل زوجك حيا .. وإلا فلن ترينه أبدا مرة أخرى .

وكتمت الزوجة صرخاتها وهى تحتضن طفلها وقد انخرطت فى بكاء طويل .

* * *

وفى حى آخر من أحياء القاهرة .. كان الرائد (مدحت) ـ وهو أيضا من ضباط المكتب (١٩) أو إدارة العمليات الخاصة ـ قد عاد إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل بعد ساعات عمل طويلة مرهقة .

وبعد أن أودع سيارته (الجراج) الخاص بالفيلا التى تقيم فيها أسرته استدار لمغادرة (الجراج) وهو يمنى نفسه بساعات طويلة من النوم العميق .

ولكن فجأة ، وقبل أن يبارح المكان برز له من خلف إحدى السيارات الأخرى التى فى (الجراج) .. رجل يخفى وجهه جورب من النايلون وهو يشهر فى وجهه مدية ذات نصل لامع .

أطاحت المفاجأة برغبة (مدحت) الشديدة فى النوم .. فوقف متحفزا فى مواجهة الرجل المقنع ، وعينه على المدية التى يشهرها .

وقبل أن يقدم (مدحت) على اتخاذ أى موقف دفاعى فوجئ بضربة قوية على رأسه من قضيب حديدى

كان يمسك به رجل مقنع آخر كان مختفيا فى أحد أركان (الجراج) المظلم .

وسقط (مدحت) على الأرض مغشيا عليه .

ووضعه الرجلان داخل سيارته .. واتجها به إلى خارج الفيلا .

★ ★ ★

وفى (فيلا) أخرى صغيرة تقع فى منطقة نائية قريبة من الصحراء المصرية وجد الرجلان نفسيهما مقيدين بالحبال ، وملقيين على الأرض فى إحدى الحجرات التى بدت شبه مظلمة .

وما كاد المقدم (رءوف) يرى وجه زميله (مدحت) الذى كان ملقى على الأرض بجواره حتى صاح فى دهشة :

— (مدحت) .. هل أحضروك أنت الآخر إلى هنا ؟

مدحت :



.. برز له من خلف إحدى السيارات الأخرى التى فى (الجراج) رجل يخفى وجهه جورب من النايلون وهو يشهر فى وجهه مدية ..

ـ (رءوف) .. من هم هؤلاء الرجال ؟ وماذا يريدون منا ؟

رءوف :

ـ لا أعرف أى شىء عنهم ، ولا أعرف ما الذى يهدفون إليه من وراء اختطافنا .

وفجأة فتح الباب ليسمعا صوتا يقول بغلظة :

ـ ستعرفان حالا السبب الذى من أجله أحضرتكما إلى هنا .

نظر الرجلان تجاه الصوت ليجدا رجلا متوسط القامة ، يرتدى عباءة مغربية تلتف حول جسده من الرأس حتى القدم ، وقد أخفى وجهه بلثام لا يبرز منه سوى عينين ضيقتين ، تلمعان بالحدة والقسوة .

اقترب الرجل الملثم منهما ، وأخذ يحدق فى وجهيهما بإمعان .. ثم صفق بيديه .

وعلى الفور ظهر رجل أسمر يحمل بين يديه صندوقا أبنوسيا صغيرا .

وأخرج الرجل الملثم من الصندوق حقنة كبيرة الحجم .. وزجاجة بها سائل أزرق .. ملأ الرجل الحقنة بالسائل ، ثم اقترب من الرجلين قائلا :

ـ منذ أربع سنوات وأنا أنتظر هذه اللحظة .. والآن ها هى ذى أخيرا .. ربما لا تذكرانى ، ولكننى أذكركما جيدا ، ولم تبارح معالم وجهيكما مخيلتى أبدا .

فكيف يمكن أن أنسى من كانا السبب فى إيداعى السجن أربع سنوات كاملة ، وفى مقتل شقيقى ؟

هل تذكران ما قلته لكما يومها من أننا سوف نلتقى من جديد ، لكى أجعلكما تندمان على هذه البطولة التى سعدتما بها على حسابى وحساب أخى ؟ واليوم هأنذا أفى بوعدى بعد أن حلت ساعة الانتقام .

وبحركة سريعة أماط اللثام عن وجهه ، وأدنى وجهه منهما ، لينظر إليه الرجلان اللذان بدا لهما هذا الوجه مألوفا إلى حد ما ..

صاح المقدم (رءوف) فى دهشة :

ـــ غير معقول .. أنت ؟!!

* * *

٢ ـــ صرخات هستيرية ..

فى العاشرة مساء هبطت الطائرة الألمانية القادمة من فرانكفورت إلى مطار القاهرة .

وكان بين ركاب الطائرة المقدم (ممدوح) الذى كان مكلفا مهمة فى ألمانيا الاتحادية .

ولم يكد المقدم (ممدوح) يدلف إلى (الصالة) الداخلية للمطار حتى فوجئ بالرائد (رفعت) واقفا فى انتظاره يلوح له بيديه .

اتجه (ممدوح) نحوه قائلا له وهو يداعبه :

ـــ إنها المرة الأولى التى أجدك فى انتظارى بالمطار .. هل أفتقدتنى إلى هذه الدرجة ، فلم تستطع الانتظار حتى نتقابل بالمكتب ؟

ولكن الرائد (رفعت) أجابه وعلى وجهه ملامح الأسى :

— إنك لن تذهب الآن إلى المكتب .. بل ستأتى معى فى زيارة قصيرة .

فنظر (ممدوح) إليه وقد قطّب حاجبيه متسائلا فى قلق :

— زيارة قصيرة ؟.. ماذا تعنى ؟.. ولماذا تبدو متجهما هكذا ؟

رفعت :

— ستعرف كل شىء فى حينه ، المهم أن تأتى معى الآن .. حتى لا نتأخر على اللواء (مراد) الذى ينتظرنا فى المكان الذى سنتوجه إليه .

وشعر (ممدوح) بأن هناك أمرًا قد حدث ، ولا يريد (رفعت) أن يفصح عنه ، فآثر أن يحترم صمته حتى تنجلى الأمور .

غادر الرجلان المطار بعد أن استقلا سيارة الرائد (رفعت) التى انطلقت بهما .. دون أن ينبس أحدهما بكلمة .

وبعد قرابة الساعة توقفت بهما السيارة أمام إحدى المصحات العقلية .

ودهش (ممدوح) عندما دعاه (رفعت) إلى النزول من السيارة .

فسأله :

— هل هذا هو المكان الذى سنزوره ؟

رفعت :

— نعم .

ولم يشأ (ممدوح) أن يجادل ، بل تقدم مع (رفعت) إلى داخل المصحة وهو يسائل نفسه عن سر هذا الغموض .

وفى مكتب مدير المصحة كان اللواء (مراد) جالسا ينتظر .

اللواء (مراد) :

— حمدًا لله على سلامتك يا (ممدوح) .. نأسف على الطريقة التى أحضرناك بها من المطار إلى هنا رأسا .

ممدوح :

ـ فى خدمتك دائما يا سيادة اللواء ، ولو أن ذلك لا يقلل من دهشتى لتواجدنا جميعا هنا .

ودعاه اللواء (مراد) للجلوس بعد أن عرفه بمدير المستشفى .

ثم قال له :

ـ إننا هنا مع الأسف لزيارة نزيل تعرفه جيدا .

ممدوح :

ـ نزيل ؟! تقصد أحد المصابين بمرض نفسى ؟!

اللواء مراد :

ـ نعم .. وهو فى الواقع صديق عزيز عليك ، وزميل لك فى العمل .

ممدوح :

ـ إنك تضاعف حيرتى يا سيادة اللواء .. فلا أذكر أن لى صديقا يعانى مرضًا عقليًا أو نفسيًا .

اللواء مراد :

ـ سترى كل شىء بنفسك .

واستأذن اللواء (مراد) من مدير المستشفى الذى سمح لهم بالتوجه إلى إحدى غرف المصحة .

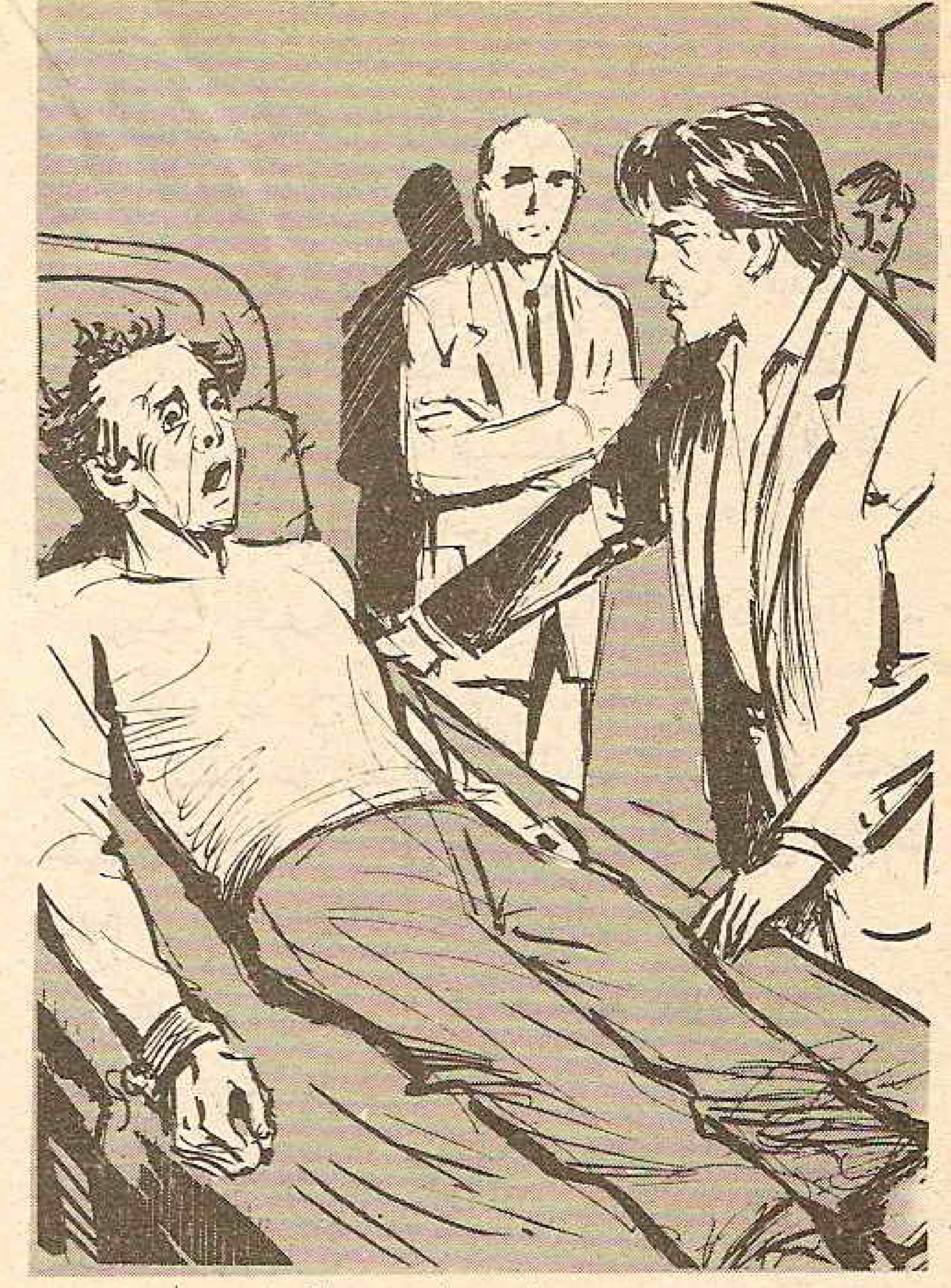
وأمام تلك الغرفة التى وضع على بابها لافتة توضح أن حالة النزيل الذى بداخلها من الحالات الخطرة .. وقف الجميع ليأمر مدير المستشفى بفتح باب الغرفة .

دلف الجميع إلى الداخل .

وبينما وقف كل من اللواء (مراد) والرائد (رفعت) فى مؤخرة الغرفة ، اقترب (ممدوح) من الرجل الممدد على الفراش ، والذى كانت يداه وقدماه مقيدتين فى سريره .. على حين كان وجهه ينطق بنظرات ملؤها الرعب والفزع .

كان الرجل يصرخ فى هستيريا جنونية وهو يردّد كلمات غريبة مثل :

ـ الأخطبوط .. الوحوش تطاردنى .. أبعدوا عنى تلك المخالب .



.. اقترب (ممدوح) من الرجل الممدد على الفراش . والذى كانت يداه وقدماه مقيدتين فى سريره ..

وهتف (ممدوح) وهو لا يكاد يصدق عينيه :

ــ مستحيل !! هذا غير معقول !! المقدم (رءوف) ؟!!

ولم يستطع (ممدوح) أن يتحمل ما يراه فأشاح بوجهه ، وأغمض عينيه فى ألم .. فى حين كان المريض مستمرًا فى صراخه الجنونى ؛ وهياجه الهستيرى .

اقترب اللواء (مراد) من المقدم (ممدوح) ووضع يده فوق كتفه قائلاً :

ــ لولا ثقتى فى قوة أعصابك وصلابتك ما سمحت لك برؤية هذا المشهد الفظيع .

قال له المقدم (ممدوح) بأسى :

ــ إن المقدم (رءوف) من أذكى وأنشط ضباط الإدارة ، فكيف حدث له هذا ؟

اللواء (مراد) :

ــ يؤسفنى أن أخبرك بأنه ليس الوحيد الذى تعرض لهذه الحالة الجنونية التى تراها .. بل حدث نفس الشىء للرائد (مدحت) .

ولكن ـ وا أسفاه ـ كانت حالته أشد عنفا ، فأدى به هذا الجنون الفجائى إلى الإقدام على الانتحار .. وقد انتحر بالفعل .

صرخ المقدم (ممدوح) قائلا :

ـ الرائد (مدحت) !! انتحر ؟! لماذا !!؟ وكيف تحدث كل تلك الأشياء ولا أعرف ؟ ما الذى أصابهما وحوّلهما إلى هذه الصورة ؟

فجذبه اللواء (مراد) إلى خارج الغرفة قائلا له :

ـ حاول أن تتمالك نفسك .. لنتوجه معا إلى غرفة المدير ، وهناك ستعرف كل شىء .

وفى غرفة مدير المصحة جلس (ممدوح) ليفسر له المدير سر تلك الحالة الجنونية التى تعرض لها زميلاه :

ـ لقد كشفنا أن صديقيك قد حقنا بمادة كيميائية غريبة التركيب ، عثرنا على بعض آثارها التى كانت فى طريقها إلى الاختفاء تدريجيا ، من خلال تحليل دم المريض الموجود لدينا الآن .

وهذه المادة ذات تأثير غريب على خلايا الأعصاب ؛ فهى تختلط بكيميائية الخلايا العصبية ، وتؤدى إلى حالة من الهياج الدائم ، والتخيلات المرضية .. وتؤدى بالشخص إلى نوع من الرعب والفزع الهائل ، الذى قد يدفع بصاحبه إلى الإقدام على الانتحار هربا وخوفا من الأشباح والأرواح والوحوش التى يتخيل أنها تطارده .

وربما يفسر لك ذلك سبب قيامنا بتقييد صديقك على النحو الذى رأيته .

فنحن لا نستبعد أن يحاول الانتحار كما فعل زميله .

إن العلاج الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه له الآن هو بعض الحقن المهدئة والمخدرة .. وذلك حتى نصل إلى وسيلة نستطيع بها إفساد تأثير هذه المادة الكيميائية الغريبة التى حقن بها صديقك ، والتى ما زالت قيد البحث فى معاملنا حتى الآن .. كما أننا قد أرسلنا عينة أخرى منها إلى الخارج لفحصها ، والبحث عن ترياق لها .

ممدوح :

ـ ولكن من الذى قام بحقنهما بهـذه المـادة الكيميائية ؟ ولماذا فعل ذلك ؟

اللواء (مراد) :

ـ لقد أجابك مدير المصحة عن الأسئلة التى تدخل فى نطاق اختصاصه ، أما هذه الأسئلة فهى من اختصاصى .. هيا نذهب الآن إلى الإدارة ، وهناك ستحصل على الأجوبة التى تريدها .

وغادر الجميع المصحة فى طريقهم إلى إدارة العمليات الخاصة .

* * *




٣ ـ من أين نبدأ ؟..

وفى إدارة العمليات الخاصة انفرد اللواء (مراد) بالمقدم (ممدوح) فى مكتبه وشرع يشرح له :

ـ هل تذكر ذلك العالم المغربى الذى حصل على الدكتوراه فى العلوم الكيميائية منذ عدة سنوات من جامعة السوربون الفرنسية ، ثم حقق نبوغا جعله فى مصاف كبار العلماء الكيميائيين على مستوى العالم ؟

أطرق (ممدوح) قليلا .. ثم قال :

ـ لعلك تقصد (الهادى إدريس) ؟

اللواء (مراد) :

ـ هو بعينه .. وكلنا نعرف بعد ذلك ما انتهى إليه هذا العالم .

لقد اتجه بنبوغه وعبقريته اتجاها غير سوِىّ بالاشتغال فى الأسلحة الكيميائية المحرمة دوليا ، كغازات

الهلوسة ، وتدمير الأعصاب ، وسائل التفجير الدموى .. الخ ، وراح يتعامل مع بعض المنظمات الإرهابية المشبوهة ، وتجار الأسلحة لتحقيق ربح مادّىّ من وراء تلك التجارة المحرمة .

وقد أدّى به نشاطه الإجرامى إلى قيام الإنتربول الدولى وبعض أجهزة الأمن فى كثير من دول العالم بمطاردته ، باعتباره مجرما دوليا .

وبرغم أن ذلك المجرم الخطير قد حيَّر العديد من أجهزة الأمن الدولية ، إلا أنه مما يذكر لإدارتنا بالفخر أن كان لها شرف إلقاء القبض عليه .

وتذكر أننا نجحنا فى الإيقاع به عندما هرب إلى مصر هو وعصابته الإجرامية ، التى كان يقودها شقيقه (أشرف إدريس) الذى كان يقوم هو بحمايته ، وتسهيل نشاطه .

ممدوح :

ـــ لقد كان هذا الرجل ينتظره مستقبل لامع كأحد

العلماء العرب القلائل البارعين فى العلوم الكيميائية ، لولا أنه سلك مسلكا إجراميا ، وسخّر عبقريته فى اختراع أسلحة الموت والدمار ، إلى أن انتهى به المطاف إلى السجن ، ومصرع أخيه .

اللواء (مراد) :

ـــ تماما .. ولعلك تذكر أيضا أن اللذين كانا مكلفين بهذه العملية هما المقدم (رءوف) ، والرائد (مدحت) .

وإليهما يرجع الفضل فى القضاء على ذلك المجرم الدولى وأعوانه .

المقدم (ممدوح) :

ـــ وهل تعتقد أن هناك صلة بين تلك القضية وما حدث أخيرا لكل من (رءوف) و (مدحت) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. لقد وصلت إلينا تقارير من الإنتربول تفيد بأن ذلك العالم المجرم قد استطاع الفرار من سجنه .. بعد أن قضى به أربع سنوات .

المقدم (ممدوح) :

ـــ ومنذ متى تمكن من الفرار ؟

اللواء (مراد) :

ـــ من حوالى ثمانية أشهر .

المقدم (ممدوح) :

ـــ ولكن ذلك لا ينهض دليلا كافيا على وجود صلة بين هروب (إدريس) من سجنه وما حل بـ(رءوف) و (مدحت) .

اللواء (مراد) :

ـــ إن ما يرجح وجود تلك الصلة هو الوسيلة التى أدت بهما إلى هذه الحالة الجنونية .

فالحقن بمادة كيميائية ذات أثر مدمر على الأعصاب هى إحدى أساليب (إدريس) .. الذى لا يبرع سواه فى تخليق مثلها .

أيضا تلك المعلومات التى توافرت لدينا فيما بعد عن أن (إدريس) قد استطاع التسلل إلى مصر عن طريق

الصحراء متنكرًا فى صورة أحد البدو .. وأنه قد غادرها بعد الحادث .

أما الدليل الأقوى الذى لا يدع مجالا للشك فى أن (إدريس) هو الذى يقف وراء هذه العملية ، فيتضح لنا من خلال تصورنا لمراحل تلك الجريمة .

فيبدو أنه بعد أن تم حقن (رءوف) و (مدحت) بذلك السائل المدمر للخلايا العصبية .. أُلقى بهما وهما مخدران فى إحدى المناطق المهجورة .

وعندما أفاق (مدحت) من تأثير المخدر وجد نفسه مصابا والدماء تنزف منه ، وبدأ يشعر بأثر السائل يسرى فى جسده محدثا تغيرات غير طبيعية .

ولكونه لا يعرف ما الذى ستؤدى إليه هذه التغيرات ، فيبدو أنه قد أراد أن يترك لنا وراءه خيطا نتتبعه قبل أن تصيبه تلك الحالة الجنونية التى أدت به إلى الانتحار .

فكتب بدمائه على قميصه كلمة واحدة هى (إدريس) .

وأعتقد أن هذه الكلمة تعطى دلالة كافية على أن (إدريس) كان وراء تلك الجريمة البشعة .

لقد توعّد (إدريس) يوم القبض عليه بالانتقام ممن كان وراء قتل أخيه ، وإيداعه السجن .. وقد اعتقدنا وقتها أنها لا تعدو أن تكون كلمات انفعالية .

ولكن يبدو أنه كان يعنى ما يقوله بالفعل ، وأن سنوات السجن لم تستطع أن تنسيه تلك الرغبة فى الانتقام ، فقدم إلى مصر خصيصا من أجل تحقيقها .

ولم يتمالك (ممدوح) نفسه ، فدقّ بيده بعنف على مكتب اللواء (مراد) قائلا :

ـ سأجعله يذوق مرارة الانتقام .. وسأجعله يدفع ثمن فعلته ، ولو طاردته إلى آخر العالم .

اللواء (مراد) :

ـ إن العملية التى أمامنا الآن ذات شقين :

شق يدخل فى إطار عملنا باعتبارنا فى عداد أجهزة الأمن الدولية المكلفة مطاردة ذلك المجرم الدولى

الخطير ، والقبض عليه مس جديد .

وشق شخصى وهو الانتقام لاثنين من أفضل رجالنا ، بعد أن انتهى بهما الأمر إلى الجنون والانتحار على يد ذلك المجرم .

ممدوح :

ـ متى يمكن أن أبدأ ؟

وسكت اللواء (مراد) هنيهة ، ثم عاد يقول :

ـ هناك شىء واحد عليك أن تضعه فى اعتبارك قبل أن تبدأ مهمتك ، وهو أنه برغم أن تلك العملية ذات طابع شخصى ، إلا أنه لا يجب أن يدفعك الانفعال العصبى والرغبة فى الانتقام إلى التسرع والوقوع فى الأخطاء .. فالأعصاب الحديدية هى أساس عملنا فى هذه الإدارة .. وهى التى تؤدى إلى النجاح فى النهاية .

إنها أولى المبادئ التى نتلقاها هنا .

لقد بدت أولى ملامح هذا التسرع تحت تأثير الانفعال العاطفى عندما سألت متى أبدأ ؟ ولكن

السؤال الذى نبدأ به عادة هو من أين نبدأ ؟

وسكت اللواء (مراد) سكتة قصيرة ، ونهض من مقعده ليقف خلف المقدم (ممدوح) الذى كان لا يزال جالسا ، ووضع يده على كتفه قائلا :

ــ إننى لا أقل عنك شعورًا بالألم من أجل (مدحت) و (رءوف) .. فأنت تعلم أن هذه الإدارة لا تعنى بالنسبة لى مجرد مكان للعمل والوظيفة فحسب ، بل إننى أعتبرها بيتى الذى أعشقه .

وأنتم جميعا بالنسبة لى لم تكونوا أبدًا مجرد ضباط تعملون تحت إمرتى ؛ بل إننى أنظر إليكم على أنكم أبنائى الذين أعتز بهم .

قد أقسو عليكم أحيانا .. ولكننى أظل دائما فى انفعال وقلق عندما ارسلكم للقيام بتلك المهام الانتحارية التى تكلفونها .. ومع ذلك فإننى أجد نفسى مضطرا لكبح انفعالاتى الشخصية حتى يمكننى أن أنجح فى أداء واجبى الذى أنا هنا من أجله .

واعتذر (ممدوح) قائلا :

ــ آسف يا سيادة اللواء .. أعترف أننى لم أكن متحكما فى انفعالاتى بما فيه الكفاية .

اللواء (مراد) :

ــ والآن نعود إلى السؤال التقليدى .. من أين نبدأ ؟

لقد أخبرتنا زوجة المقدم (رءوف) أن أولئك الرجال الذين اختطفوا زوجها كانوا يرتدون أقنعة من جوارب النايلون تخفى ملامحهم .

لكنها لاحظت أن أحدهم كان يعانى ضيقا فى التنفس ، كان يدفعه إلى التحرر من الجورب من آن لآخر ؛ حتى يستطيع أن يحصل على قسط من الهواء .

وقد استطاعت برغم الظروف المحيطة بها فى تلك اللحظة أن تتبين ملامح وجهه جيدا من خلال المرآة المعلقة فى حجرة الاستقبال ، وقد أدلت لنا بأوصاف كاملة له .

وبالاستعانة بأحد خبرائنا استطعنا أن نرسم صورة لوجه ذلك الرجل من الأوصاف التى حصلنا عليها .

ثم بعرضها عليها أكدت لنا أن الملامح التى فى الصورة تنطبق على ذلك الشخص إلى حد كبير .

ثم بعرض تلك الصورة على أجهزة الأمن المختلفة فى عدد من دول العالم ، وبالاستعانة بمجهودات الإنتربول الدولى .. تأكد لنا أن هذه الصورة لرجل يدعى (هكتور) .. وهو من رجال العصابات المحترفين .. ويزاول نشاطه فى العاصمة الإسبانية (مدريد) .

ومن هنا سنبدأ .

* * *



٤ ــ الخطوة الأولى ..

حين دخل (هكتور) إلى شقته فى الدور العاشر بإحدى البنايات الشاهقة فى العاصمة الإسبانية (مدريد) ، أغلق الباب خلفه ، ووضع أكياس الأطعمة التى أحضرها فوق المائدة .

ثم اتجه نحو المطبخ لإحضار بعض الأطباق ممنيا نفسه بعشاء شهى .

واستدار عائدا إلى المائدة وهو يصفر مرددا بعض الأغنيات الشعبية الإسبانية .. ولكنه لم يكد يجتاز باب مطبخه حتى جمد مكانه مبهوتا .

فقد تسمرت عيناه على رجل ــ لم يكن سوى (ممدوح) ــ جالسا على أحد مقاعد المائدة وفى يده مسدس مزود بكاتم للصوت مصوبًا نحوه .

قال (ممدوح) وشبه ابتسامة تتلاعب فوق شفتيه :



.. فقد تسمرت عيناه على رجل ــ لم يكن سوى (ممدوح)
جالسًا على أحد مقاعد المائدة وفى يده مسدس ..

ــ يؤسفنى يا عزيزى (هكتور) أن أفسد عليك عشاءك الشهى .

قال (هكتور) وهو مقطب الجبين :

ــ من أنت ؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟

ممدوح :

ــ أعتقد وأنا أحمل هذا المسدس الذى تراه فى يدى .. يصبح من حقى وحدى أن أطرح الأسئلة .

ومع ذلك فسوف أكون متسامحا معك ، وأجيب عن أسئلتك ، إنك تسأل من أنا .. أليس كذلك ؟ أدعى (ممدوح) من إدارة شرطة العمليات الخاصة المصرية ، ولا بد أنك قد سمعت عن هذه الإدارة من قبل . فقد شاركت فى اختطاف اثنين من رجالها لتسليمهما إلى زعيمك (إدريس) لكى يدمر عقليهما .

أما كيف دخلت إلى هنا ؟ فهذه وسائلى الخاصة

والآن أعتقد أنه قد جاء دورى لكى أطرح عليك بعض الأسئلة .

أين أستطيع أن أجد (إدريس) ؟ إننى أعلم أنه مختبئ فى (مدريد) وحذار من المراوغة ، فلن أكون متسامحا معك أكثر من ذلك ..

هكتور :

ـ هل أستطيع أولا أن أضع هذه الأشياء على المائدة ؟

وأشار له (ممدوح) بمسدسه بما يفيد الموافقة .

تقدم (هكتور) نحو المائدة ليضع الأطباق .

ولكنه بحركة سريعة مفاجئة دفع المائدة بيده لتسقط بما عليها فوق (ممدوح) الذى اختل توازنه ، فسقط بمقعده على الأرض ، وقد طار المسدس من يده .

وسرعان ما أخرج (هكتور) مسدسه ، وصوبه نحو (ممدوح) قائلا :

ـ إننى لا أعرف من أنت .. لكننى أعرف أنك لن تستطيع الخروج حيا من هذا المكان .

وفى مثل لمح البصر التقط (ممدوح) زجاجة ملقاة

على الأرض ، وقذفها بقوة نحو الرجل ، فتهشمت فوق رأسه ، وفجرت سيلا غزيرا من الدم .

انتهز (ممدوح) الفرصة ، فنهض من مكانه ، وهجم على الرجل بكل ما أوتى من قوة ، ممسكا بقبضته التى تحمل المسدس .. وراح يدفعها بعنف لترتطم بالحائط عدة مرات حتى سقط المسدس من يده .

وحالما أصبح الرجل مجرّدا من سلاحه أخذ (ممدوح) يكيل له اللكمات العنيفة دون هوادة أو توقف .

لقد تقمصت (ممدوح) عندئذ رغبة جارفة فى الانتقام لصديقيه ، فصارت لكماته تهوى على وجه الرجل كالمطارق .

وصار الرجل يترنح يمنة ويسرة من عنف اللكمات المنهالة ، ثم ما لبث أن سقط على الأرض .

ولكن (ممدوح) لم يتركه ، بل رفعه من على الأرض ، موجها وجهه نحو النافذة المطلة على

الشارع .. ثم أمسك بقدميه ، ودفعه فى فراغ النافذة وهو يقبض بيده على حزام (البنطلون) الذى يلتف حول وسطه قائلا له :

ــ لا شك أنك تعرف أنه توجد أكثر من وسيلة للقتل عدا المسدس .

فيكفى أن أترك هذا الحزام يفلت من يدى حتى تجد نفسك تهوى من حالق إلى الشارع لتتحول إلى أشلاء مبعثرة .

ونظر الرجل المعلق فى الهواء إلى الشارع ، وقد انتابه فزع شديد ، فأخذ يصرخ قائلا :

ــ لا .. لا .. أرجوك لا تفعل .. إننى لم أحاول أن ألحق الأذى بأصدقائك .. لقد كانت مهمتى قاصرة على إحضار أحدهما فقط .

ممدوح :

ــ إحضاره إلى (إدريس) .. أليس كذلك ؟

هكتور :

ــ أقسم لك أننى لا أعرف شيئا عن (إدريس) هذا .. لقد كلفنى هذه العملية شخص قيل لى أنه يعمل لصالح رجل يدعى (روبير) .. وهذا كل ما أعرفه .

وأرخى (ممدوح) يده قليلا من فوق حزام الرجل ، وهو يدلى به أكثر وأكثر ، قائلا له :

ــ هاأنتذا قد عدت إلى المراوغة من جديد .

هكتور :

ــ لا .. أرجوك .. أقسم لك أننى لم أقل سوى الحقيقة .

ممدوح :

ــ وأين يوجد (روبير) هذا ؟

هكتور :

ــ إن كل ما أعرفه عنه أنه يسهر دائما فى أحد الملاهى الليلية فى (مدريد) .. ويدعى (ملهى سولا) .. وهو يرسل لنا مكافآتنا عن العمليات التى نقوم بها لصالحه عن طريق بعض الأشخاص الآخرين ، الذين يتغيرون دائما .

وجذبه (ممدوح) ليعيده إلى الداخل .. ثم دفعه نحو الحائط قائلا :

ـ عليك أن تخبر (روبير) هذا أو أحد الذين يعملون لحسابه بأننا سوف نلتقى قريبا .

ثم تركه (ممدوح) وخرج بعد أن أغلق الباب خلفه .

أما الرجل فقد وقف يزيل دمه وهو يلهث ، ولا يكاد يصدق أنه قد نجا من تلك الميتة البشعة .

* * *



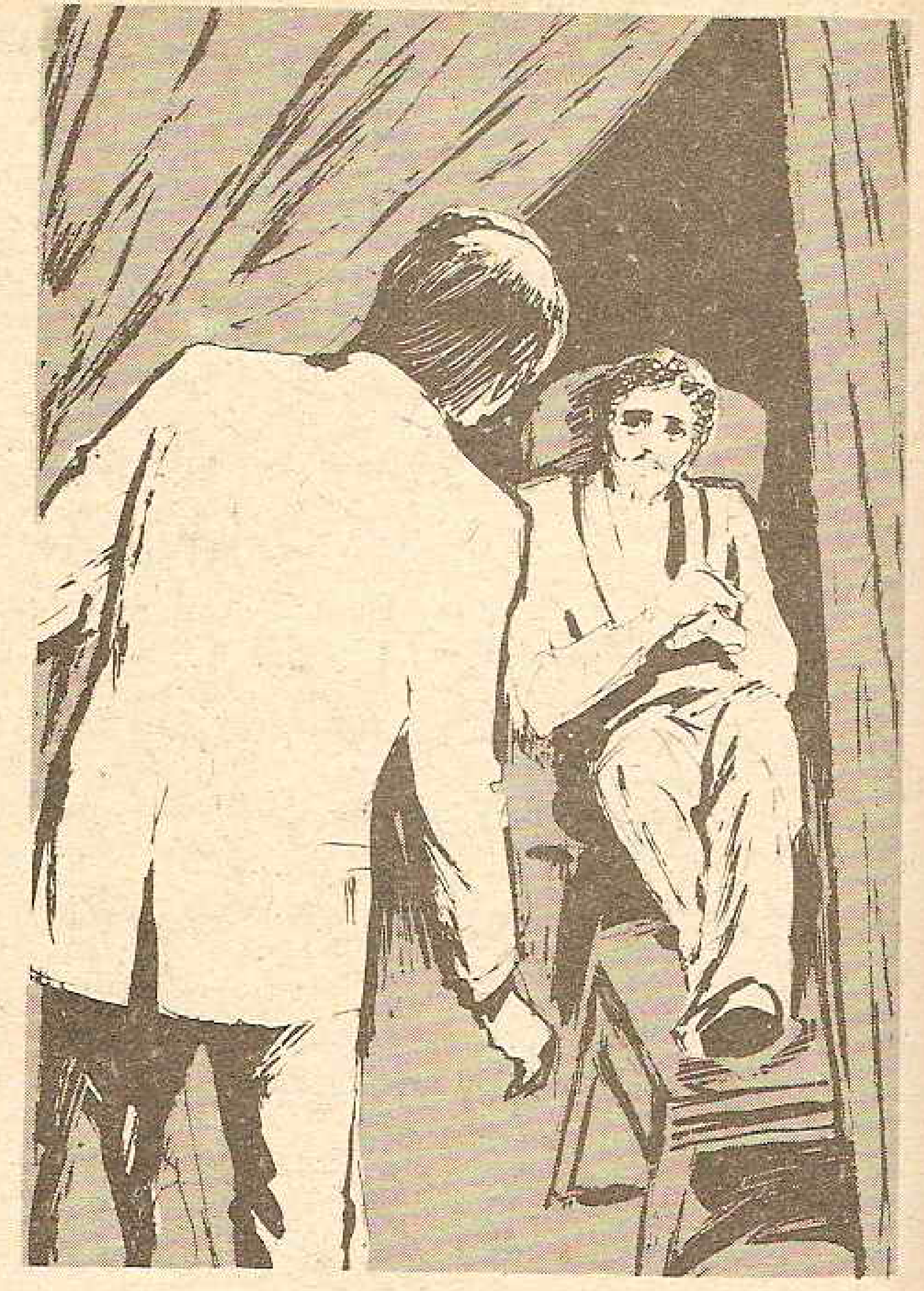
٥ ـ الهدف المكشوف ..

كان (أندريه) صاحب الشركات المختصة بالصناعات الكيميائية فى كل من إسبانيا وفرنسا وبلاد أوربية أخرى .. جالسا فى مكتبه بـ (مدريد) منهمكا فى عقد بعض الاتفاقات مع عدد من المستوردين لتوريد المواد الكيميائية لهم .

وبعد أن أنهى اجتماعه وقف يودعهم .. ثم أغلق باب المكتب خلفهم ، وطلب من سكرتيرته ألا تسمح لأحد بدخول مكتبه .

ثم اتجه بعد ذلك نحو الحائط الذى كانت تزينه صورة زيتية كبيرة .

وباستخدام أحد الأجهزة الإليكترونية التى ثبتها فوق الحائط بعد أن ضغط على عدة أزرار به ، انفرج الحائط



.. كان يوجد ستار يتدلى من حائط آخر ، أزاحه بيده ، فبدا خلفه رجل أسمر .. مجعد الشعر ..

متخذًا الوضع الأفقى بدلا من وضعه الرأسى ، كاشفا عن فراغ خلفه .

مرّ (أندريه) من أسفل الحائط المقلوب إلى الداخل .. ثم انتزع الجهاز الإليكترونى المثبت فوقه ليعود إلى وضعه الطبيعى من جديد .

شرع (أندريه) بعد ذلك يهبط درجات سلم حلزونى ، حتى وصل إلى أسفل ، حيث كان يوجد ستار يتدلى من حائط آخر ، أزاحه بيده ، فبدا خلفه رجل أسمر .. مجعد الشعر .. ذو نظرات حادة .. وقد جلس فوق أحد المقاعد ، فى حين كانت قدماه ممدتين فوق مقعد آخر .

لم يكن هذا الرجل سوى (الهادى إدريس) الرجل الذى يتعقبه (ممدوح) منذ البداية .

قال (أندريه) للرجل الأسمر ووجهه ينتفخ بالغضب :

ــ أرأيت نتيجة اندفاعك وراء هذا الانتقام

الأحمق ؟ لقد وضعتنى حيال مخاطرة كبرى ، لكى أجعل رجالى يحققون لك السعادة التى تبتغيها من وراء ذلك الانتقام الشاذ ، الذى لم يكن له ما يبرره .

والآن ها هم أولاء قد أرسلوا خلفنا أحد رجالهم للبحث عنا ، وقد نجح هذا الرجل الذى أرسلوه فى الوصول إلى أحد رجالى وأجبره على الإدلاء بما يعرفه عنى من معلومات .

قال له (إدريس) وهو يبتسم فى برود :

ـ إنك دائم الخوف يا صديقى .. وذلك برغم أنه يعمل تحت إمرتك عدد من رجال العصابات المحترفين .

لقد كنت تعلم جيدا مدى أهمية هذا الانتقام بالنسبة لى .

لقد قتلوا شقيقى ، وتسببوا فى سجنى .. وكان لا بد أن ينالوا جزاءهم .

كما أننى لا أرى مبررًا لخوفك من تلك الحشرة التى

أرسلوها ؛ فكل ما حصل عليه من معلومات تدور حول شخص يدعى (روبير) ، ولكنه لم يعرف بعد من هو (روبير) .. ولا يعرف أنه هو ذلك الرجل المعروف كأحد رجال الأعمال ، ذوى السمعة العالمية ، والمدعو (جان أندريه) .. فليس هناك من يعرف شيئا عن شخصيتك السرية ، ونشاطك الخفى سواى وعدد محدود من الأشخاص الموثوق بهم .

أندريه :

ـ ولكنك بفعلتك الحمقاء قد أثرت استفزازهم ، وجعلتهم يرسلون عملاءهم للبحث عنك والسعى وراءك .. وما دام كلانا مرتبطًا بالآخر فسوف يؤدى ذلك إلى إلقاء الضوء حولى ، وافتضاح أمرى .. لقد جعلتنى أتحمل الكثير من المتاعب من أجلك .

وثار (إدريس) قائلا فى حدة :

ـ لتغلق فمك الكريه هذا .. وكفاك تأنيبا ولوما أيها العجوز المخرِّف .

أنسيت أنك منذ عدة شهور فقط كدت تعلن إفلاسك ؟ لقد كنت موشكا على إغلاق مصانعك وبيع شركاتك ، بعد أن تكاثرت عليك الديون ، ولكنك بفضل استغلال عبقريتى ومجهوداتى ، استطعت الاحتفاظ بها ، بل أكثر من ذلك قفزت أرباحك إلى مائة ضعف ، وأصبحت الآن واحدا من أشهر رجال الأعمال المعروفين فى العالم .. أما أنا فقد هربت من السجن لكى أظل سجينا فى سراديبك السرية ، أو مختفيا فى الصحراء .. وفى القلاع المهجورة .. لقد أصبحت أكثر ثراء بفضلى .. فى حين أختفى أنا فى تلك الجحور كفأر جبان .

صاح (أندريه) بنفس الحدة :

— ولكن أنسيت أنك أنت أيضا قد حصلت على أرباح طائلة من ورائى ؟ إنك تختفى فى تلك السراديب حقا ، ولكنك تعمل هنا فى إعداد موادك الكيميائية فى أمان تام .. لا يعرف أى مخلوق بوجودك .. أما أنا فإننى

أتحمل وحدى مخاطر الظهور على السطح ، ومباشرة هذه التجارة الخطرة ، التى قد تطيح بى فى أى لحظة .

إدريس :

— إنك تتكلم عن الأرباح .. حسنا ، وما الذى أفعله بتلك الأموال وأنا مختف على هذه الصورة ؟! أتنسى أنك قد وعدتنى بأن تجرى لى عملية تجميل جراحية لإخفاء معالم وجهى ، حتى أستطيع أن أظهر على وجه الأرض ؟ ولكنك حتى الآن لم تنفذ شيئا من وعدك .

أندريه :

— أنت تعرف جيدا أن ذلك يعد خطرا فى الوقت الحالى .. لا بد لى أولا من أن أجد الطبيب الذى أثق فيه .. المهم الآن هو أن تبحث معى عن وسيلة لمعالجة الأمر مع ذلك العميل المصرى الموجود فى (مدريد) .

إدريس :

— أتسألنى أنا عن الوسيلة ؟ يكفيك أن ترسل

رجلين من رجالك لكى يريحوك منه نهائيا .

تنهد (أندريه) بعمق ، ثم قال :

ــ ولو أننى أعرف أن جرائم القتل تثير المزيد من المتاعب .. لكن يبدو أنه لا يوجد بديل آخر .

وهزّ (أندريه) رأسه وتابع ، وكأنه يحدث نفسه :

ــ هو ذلك .. عليك أن تسحق الحشرة بحذائك قبل أن تصل إلى أنفك .

* * *

كان (ممدوح) قد تعمد أن يجعل من نفسه هدفا مكشوفا لمن يطاردهم ؛ ليدفعهم إلى مطاردته ، والكشف عن أنفسهم .

لذا فعندما دخل إلى ملهى (سولا) تعمد أن يسأل الساقى الذى يعمل فى الملهى عن شخص يدعى (روبير) .

نظر إليه الساقى نظرة متفحصة ، ثم ما لبث أن أجابه بحدة :

ــ لا أعرف شخصًا بهذا الاسم .

ولكن عندما طلب الساقى من زميله أن يحل مكانه فى خدمة الرواد ، ودخل هو إلى إحدى الحجرات الجانبية .. كان (ممدوح) على يقين من أنه قد مضى لإبلاغ بعضهم بوجوده .. وقد صح ما توقعه (ممدوح) تماما ..

فعندما عاد الرجل إلى مكانه بعد دقائق ، قال لـ (ممدوح) بلطف هذه المرة :

ــ لقد تذكرت .. إننى أعرف رجلا بهذا الاسم .. هل يهمك أمره ؟

ممدوح :

ــ أريد مقابلته .

الساقى :

ــ يمكننى أن أقدم لك عنوانا تستطيع أن تجده فيه .

ممدوح :

ـ سأكون ممتنا إذا فعلت ..

الساق :

ـ حسنا .

ثم أحضر ورقة صغيرة ودوّن بها العنوان وقدمه لـ (ممدوح) .

* * *

وصل (ممدوح) بسيارته إلى المكان المحدد فى العنوان ، وهو يتوقع أن يكون هناك فخ فى انتظاره .

ولم يكد يرى المكان حتى أيقن أنه حيال فخ مثالى ..

كان العنوان عبارة عن مخزن قديم به مجموعة من البراميل الخشبية متراصة ومليئة بمواد كيميائية ، كما سجّل فوقها .

سار (ممدوح) فى أنحاء المخزن المهجور شبه المعتم وصوت خطواته يملأ أذنيه .. أخذ ينادى قائلا :

ـ أليس أحد هنا ؟

ولما لم يظفر برد أخذ يجول بين البراميل المتراصة بحذر محاولا كشف المكان .

وفجأة برز له من خلف البراميل عملاق ضخم تنطق ملامحه بالشر والوحشية ، وقد أمسك فى يده حربة حادة ، لمع سنها المدبب فى الظلام .

وفى بطء بدأ (ممدوح) يتراجع إلى الخلف ، وهو ينقل نظره إلى الرجل تارة وإلى الحربة تارة أخرى ، متأهبا لأية حركة فجائية .

وفجأه جاءه صوت من خلفه .. فالتفت إليه فى نظرة سريعة ؛ ليجد خلفه رجلا آخر لا يقل ضخامة عن الرجل الذى يقف قبالته .. وقد لبس فى يده قبضة حديدية ، ذات أسنان حادة مدببة .. وأخذ الرجلان يطبقان على (ممدوح) أحدهما من أمامه والآخر من خلفه بخطوات بطيئة وئيدة ، ولكنها تحمل إليه نذر الهلاك المحقق .

* * *

٦ ــ رصاصة فى الظلام ..

فى حركة سريعة أمسك (ممدوح) بالمدية الصغيرة المعلقة فى سلسلة مفاتيحه وقد كشف عن نصلها .

وابتسم الرجل ذو الحربة بسخرية قائلا لـ (ممدوح) :

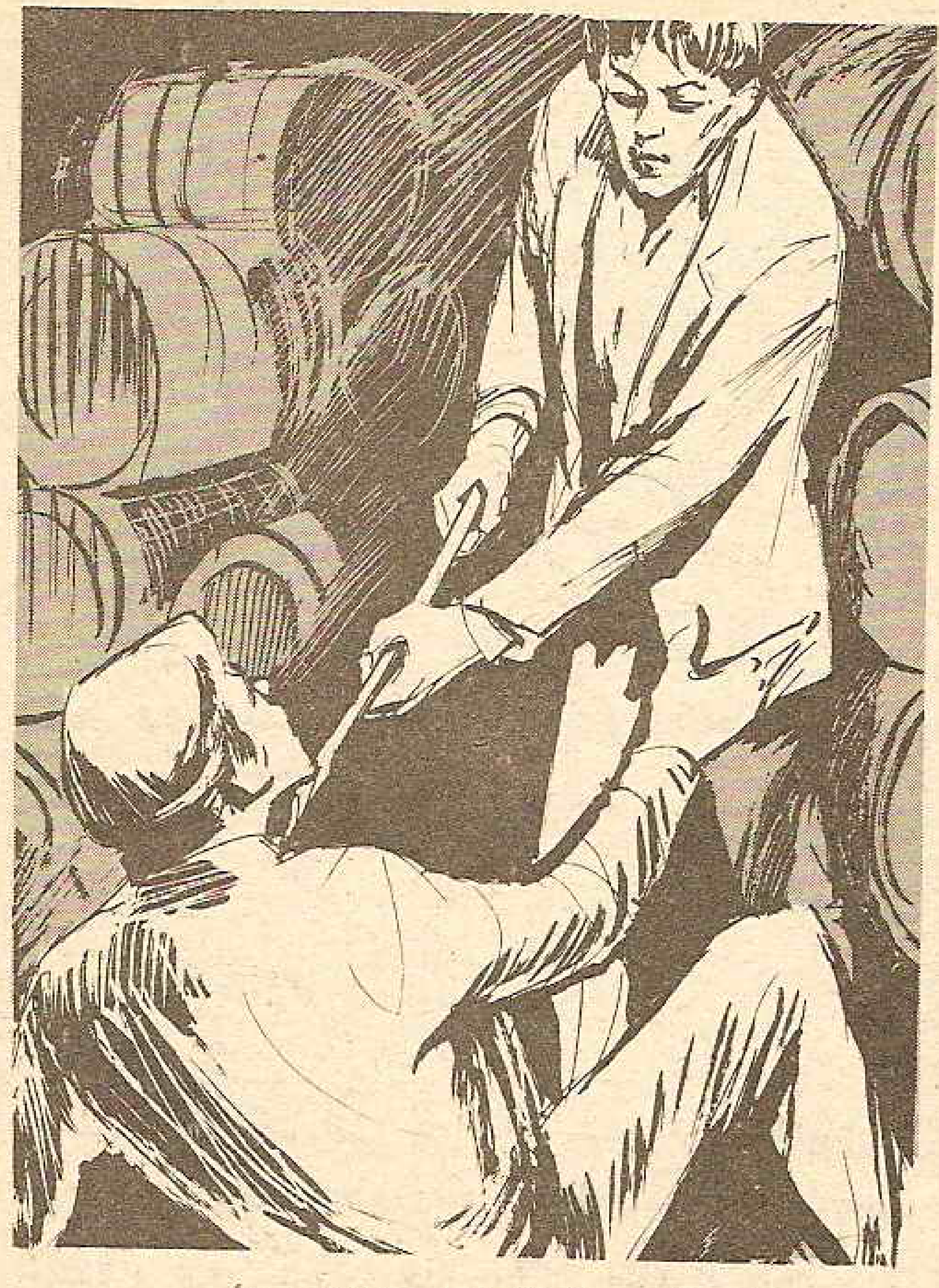
ــ هل قررت أن تقاتلنا بمبرد الأظافر هذا ؟

وألصق (ممدوح) ظهره بالبراميل الخشبية التى خلفه .

وفى اللحظة التى صوب فيها الرجل حربته نحو صدره باعد (ممدوح) جسده فى حركة خاطفة لتنغرس الحربة فى البرميل الخشبى الذى يستند إليه .. وتملك الرجل الغيظ فأسرع ينتزع الحربة من مكانها بكل قوته متأهبا لغرسها مرة أخرى فى صدر (ممدوح) .

ولكن (ممدوح) كان أسرع منه هذه المرة .. فقد





.. كان (ممدوح) قد التقط الحربة الملقاة على الأرض
ليضع سنها المدبب فوق عنق الرجل ..

ضغط على زر صغير مثبت فى مديته التى كان يصوبها نحو الرجل ، فيندفع نصلها طائرا من مكانه ليستقر فى عنق غريمه .

أطلق الرجل صرخة أليمة وهو يمسك بعنقه ، فى حين أفلتت الحربة من قبضته وسقطت على الأرض .

انتهز (ممدوح) المفاجأة التى أحدثها ، فتراجع إلى الخلف سريعا ، فى ذات اللحظة التى كان يستعد فيها الرجل الآخر ذو القبضة الحديدية لتصويب ضربة قاتلة إلى رأسه ..

طار (ممدوح) فى الهواء عاليا مسددا بقدمه إحدى ضربات الكاراتيه العنيفة إلى وجه الرجل ، جعلته يتهاوى إلى الأرض .

وقبل أن ينهض الرجل من سقطته على أثر الضربة العنيفة .. كان (ممدوح) قد التقط الحربة الملقاة على الأرض ليضع سنها المدبب فوق عنق الرجل ذو القبضة الحديدية .. الذى صرخ قائلا :

ـــ لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .

قال (ممدوح) وهو يحدجه بنظرة قاسية :

ـــ حسنا .. إذا كنت لا ترغب فى أن تزين الدماء عنقك مثلما حدث لزميلك .. فعليك أن تخبرنى عن هذا المدعو (روبير) ، وكيف أجده .

أجاب الرجل فى صوت متهدج ، ونظراته المذعورة مثبتة على السن المدببة التى تكاد تخترق عنقه .

ـــ إن (روبير) هذا ليس سوى اسم وهمى لرجل أعمال فرنسى يدعى (جان أندريه) وهو يقطن فى أحد القصور الفاخرة فى ضواحى (مدريد) .

ممدوح :

ـــ و (إدريس) ما الذى تعرفه عنه ؟

الرجل :

ـــ أقسم لك أننى لا أعرف شيئًا عن (إدريس) هذا .. إننى وعددًا محدودًا من الرجال فقط الذين نعلم حقيقة (جان أندريه) هذا ؛ لأننا حلقة الاتصال بينه

وبين عدد من رجال العصابات الذين يعملون تحت إمرته ، دون أن يعرفوا عنه شيئا سوى اسمه الوهمى .

ممدوح :

ـــ ولماذا يحرص (أندريه) هذا على أن يكون زعيمًا خفيًّا لمجموعة من المجرمين ؟

الرجل :

ـــ إن (جان أندريه) لا يحصل على أرباحه الحقيقية من نشاطه كرجل أعمال يدير عددًا من المصانع والشركات ، ولكن من نشاط سرى آخر وهو الاتجار فى الأسلحة الكيميائية المحرمة دوليا ، والتى يتعامل من خلالها مع المنظمات الإرهابية ، وبعض الدول التى تحرص على اقتناء هذه الأسلحة .

ممدوح :

ـــ و (جان أندريه) هو الذى أرسلكما لقتلى أليس كذلك ؟

الرجل :

ـــ نعم .. لقد أرسلنا للتخلص منك بعد أن أخبره أحدهم بأنك كنت تبحث عنه فى ملهى (سولا) .

وغرس (ممدوح) الحربة فى ياقة (الفانلة) التى يرتديها الرجل وانصرف .

* * *

فى خفة الفهد راح (ممدوح) يتسلل بين الأشجار المحيطة بقصر (أندريه) وهو يستجلى المكان بواسطة منظار مكبر .

وأوجس (ممدوح) خيفة عندما لم يشاهد الحراس التقليديين والكلاب الشرسة المدربة التى تكثر عادة فى مثل هذه القصور .

ولكن سرعان ما أدرك أن هذه الأشياء ليست ذات أهمية لرجل مثل (جان أندريه) عندما لمح كل تلك الأجهزة الإليكترونية المدسوسة بين الأشجار ، وبجوار السور المحيط بالقصر .

فقد كان هناك عدد من (الكاميرات

التليفزيونية) ، والصواعق الكهربائية ، والمدافع الآلية ذاتية الحركة .. الخ .

قال (ممدوح) لنفسه :

ـــ لا شك أن (أندريه) هذا رجل عصرى ؛ فهو يلجأ إلى الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة بدلا من الوسائل التقليدية .. إذن فلنتعامل معه بما يتناسب مع روح العصر .

جلس (ممدوح) على ركبتيه ، وفتح الحقيبة الجلدية المعلقة على كتفه ، وأخرج منها جهازًا أشبه بنموذج مصغر للرادار .. وأخذ يقوم بتوصيل الرادار المصغر بجهاز إليكترونى آخر ، ليدور الرادار دقيق الحجم حول نفسه محدثا أزيزا يشبه طنين النحلة .

ووضع (ممدوح) الجهاز الإليكترونى على الأرض ، وأمسك بأحد الأجهزة الإليكترونية الأخرى ، التى تقوم بعملية التوجيه ، والتحكم فى الرادار الصغير .

ضغط (ممدوح) على زر صغير فى الجهاز الذى

معه .. ليرتفع الرادار المصغر من فوق الأرض ، وهو يطير ببطء تجاه بوابة القصر .

ولم يكد الرادار يقترب من البوابة الحديدية حتى أخذت تصدر عنه ذبذبات إليكترونية أدت إلى إحداث تشويش مكثف على جميع الأجهزة الإليكترونية المحيطة بالقصر من الداخل والخارج ؛ لتبطل عملها .

وفى نفس الوقت كان (جان أندريه) يسبح فى حوض السباحة الخاص به داخل قصره ، كما هى عادته مساء كل ليلة .

ولم ينتبه (أندريه) ، فى أثناء انهماكه فى السباحة ، لذلك الشبح الذى كان يرقبه مستترًا بالظلام .

كان (ممدوح) قد نجح فى تسلق السور المحيط بالقصر مستخدما فى ذلك القفازات المغناطيسية بعد أن نجح راداره الصغير فى إفساد عمل جميع الأجهزة الإليكترونية التى تحيط بالقصر .

انتفض (أندريه) فى الماء عندما رأى (ممدوح)

وهو يخرج من الظلام إلى دائرة الضوء المحيطة بحوض السباحة مصوبا نحوه مسدسا مزودًا بكاتم للصوت .

اقترب (ممدوح) من حوض السباحة ، وقال له :

— لقد أخبرونى أنك تبحث عنى لتصفية حساب ما .. وهأنذا قد جئت لتصفيته معك بنفسى .

قال (أندريه) وعلى وجهه علامات الدهشة :

— كيف دخلت إلى هنا ؟

ممدوح :

— إنها أسرار المهنة يا عزيزى .. وليس هناك ما يدعو لكى أشرح لك بعضا منها ؛ لأنك لن تعيش طويلا لتذكرها .

ثم سدد مسدسه نحو رأس (أندريه) الذى أخذ يتخبط فى الماء وهو يصرخ قائلا :

— لا .. لا .. أنا أعرف أنك قد جئت لتنتقم .. لكننى أقسم لك بأننى لم أفعل ذلك الشىء بصديقيك .. لقد استخدمت نفوذى ورجالى فقط

لإحضارهما .. من أجل إشباع رغبة جنونية لدى مجنون أحمق تدفعه إلى الانتقام .. إن اسمه (إدريس) .. وأنا على استعداد لإرشادك إلى مكانه .. إنه الفاعل الحقيقى .. وهو الذى يستحق عقابك ..

وقبل أن يكمل (أندريه) جملته .. سمع (ممدوح) صوت طلقة نارية مكتومة تمرق بجواره ، لتستقر فى رأس (أندريه) محدثة ثقبًا فى جبهته .

وشرع (أندريه) يغوص فى الماء الذى بدأ يصطبغ بحمرة قانية بعد أن اختلط بدمائه .

* * *



٧ ـ فى صحراء مراكش ..

صكت مسامع (ممدوح) صوت طلقة أخرى تمرق بجوار أذنه ، فأسرع بإلقاء نفسه فوق الحشائش المحيطة بحوض السباحة .

وعندما رفع رأسه قليلا من على الأرض ، لمح من بعيد أنبوبة بندقية تلسكوبية ، تختفى وراء الستار الذى يغطى إحدى نوافذ القصر المطلة على حوض السباحة .

أسرع (ممدوح) يزحف على بطنه ممسكا بمسدسه حتى تمكن من الوصول إلى الأشجار الصغيرة القريبة من المبنى المطل على حوض السباحة ، واستمر يعدو بينها متجها نحو المبنى ، وعينه معلقة على النافذة التى رأى البندقية تصوب منها .

ولكنه لم يكد يصل إلى مدخل المبنى حتى كان قد تلقى ضربة قوية فوق مؤخرة رأسه أسقطته على الأرض فاقد الوعى .

ومن خلال الأشجار برز رجل متين البنيان ، عربى الملامح .. وفى قبضته مضرب خشبى غليظ .

وأشار الرجل بيده لرجل آخر كان يقف بعيدًا ، وتعاون الرجلان على حمل (ممدوح) ورفعه من على الأرض .

* * *

عندما أفاق (ممدوح) لم يدر كم من الوقت مضى عليه وهو فاقد الوعى .. حرك رأسه بصعوبة ، ووجد نفسه ممددًا فوق الأرض فى إحدى الخيام البدوية .. وحوله عدد من الرجال المسلحين ، يرتدون أغطية الرأس والثياب التى يتميز بها أهل الصحراء .

قال لهم (ممدوح) وهو يمسك برأسه من شدة الألم :

ـــ أين أنا ؟!

ولكن أحدًا من الرجال لم يجبه .. فحاول النهوض من مكانه ، ولكنهم أسرعوا بتصويب بنادقهم نحوه لمنعه من الحركة .

وتفوه أحدهم ببعض كلمات بدوية لم يفهمها (ممدوح) .. ثم أسرع بالخروج من الخيمة .. فى حين ظل الآخرون يسددون فوهات بنادقهم نحوه ..

وإن هى إلا هنيهة حتى دخل إلى الخيمة رجل يتلفع بعباءة مغربية مطرزة ، ويخفى وجهه لثام أسود .

لبث الرجل قائما أمام (ممدوح) قليلا ، ثم أزاح لثامه ، وعلى وجهه بدت تلك النظرة الحادة القاسية .

تطلّع (ممدوح) إلى وجهه الأسمر .. الذى كان يعرفه جيدا .. وأدرك أنه الآن قد غدا وجها لوجه أمام الرجل ، الذى تجشم كل هذه المتاعب بحثا عنه .. (الهادى إدريس) .

وضغط (ممدوح) على أسنانه حنقا وهو يبادله النظرات الحادة التى تعكس الرغبة العارمة فى الانتقام .

قال (إدريس) :

ـــ إذن فجهاز الأمن المصرى المسمى بـ (إدارة العمليات الخاصة) ما زال مصرًا على إرسال عملائه خلفى .

قال (ممدوح) فى صوت مفعم بالتحدى :

ـــ لقد أصبحت الإدارة الآن أكثر إصرارا على اصطيادك من ذى قبل .. حتى ولو ذهبت إلى آخر العالم .. فإدارتنا تعرف كيف تنتقم لرجالها .

وهنا أطلق (إدريس) ضحكة شيطانية وهو يقول :

ـــ لا بد أن رئيسك يريد أن يرفع من نسبة المجانين والمنتحرين فى إدارته .. ألم يكفه الدرس الذى تلقاه زميلاك ؟

كان عقل (ممدوح) يعمل فى سرعة برغم الألم الممض الذى يكاد يشق رأسه ، وأراد أن يستفزه لحمله على البوح بالمزيد من المعلومات ، فقال له :

ـــ لقد كنت أظن أن (أندريه) هو الذى يقف وراء هذه الجريمة ، وأنك لا تعدو أن تكون أحد أتباعه الذين شاركوه فى ارتكابها .

ابتسم (إدريس) فى سخرية قائلا :

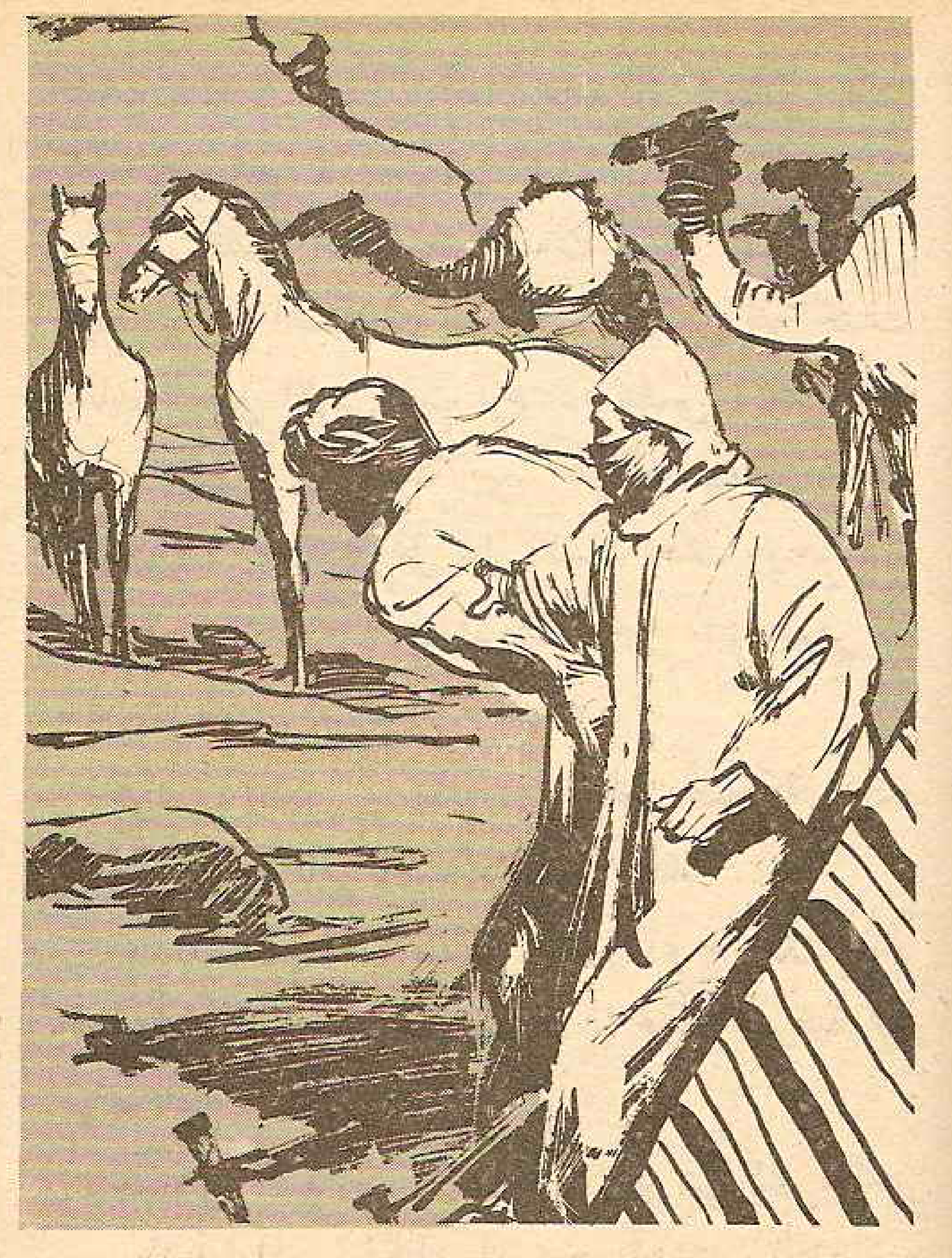
ـــ إن (أندريه) هذا ليس أكثر من رجل أعمال

غبى ، كان يظن أنه يستطيع بأمواله ونفوذه استغلال عبقريتى العلمية لتحقيق مصالحه ، والحصول على المكاسب على أكتافى ..

لقد تركته يسعد بذلك الشعور فترة ، ريثما أستطيع أن أعيد اتصالاتى بأصدقائى السابقين بعد هروبى من السجن .. فقد كنت أحتاج لرجل مثله لتحقيق ما أريد .. لكننى لم أكن أثق به أبدا .. لذا فقد تحايلت على أن أدس فى قصره عددًا من رجالى متنكرين فى صورة خدم وموظفين ، للتجسس عليه ومراقبته ، وعندما أراد أن يغدر بى أصدر رجالى حكمهم عليه بالإعدام .. هذا هو حجم (أندريه) الحقيقى لا أكثر ولا أقل ..

وواصل (ممدوح) استفزازه للحصول على المزيد من المعلومات عن العلاقة الإجرامية التى كانت تربط الرجلين .. فقال له :

ـــ ولكنك بذلك قد غدوت صيدا سهلا بعد أن فقدت حليفك الممتاز ، الذى كان يوفر لك الحماية والمال .



.. ثم هجم عليه وجذبه من ذراعه . ودفعه خارج
الخيمة حيث كانت الجياد والجمال تقف فى الصحراء ..

نظر (إدريس) إلى (ممدوح) وقد ازدادت نظراته حدة ، ثم هجم عليه وجذبه من ذراعه ، ودفعه خارج الخيمة ، حيث كانت الجمال والجياد تقف فى الصحراء التى تناثرت فيها الخيام البدوية .

قال له (إدريس) :

ـ هل ترى هذه الصحراء ؟ إنها صحراء مراكش .. ربما كان (أندريه) يساوى شيئا فى (مدريد) .. أما هنا فأنا ملك هذه الصحراء ، ولا قيمة لـ (أندريه) أو أمثاله فى هذه المملكة .. فلست بحاجة لحلفاء حقيرين من طراز (أندريه) ما دمت هنا .. لقد حقنت أصدقاءك بنفس السائل المدمر للأعصاب ، انتقاما لأخى ولسنوات السجن التى قضيتها .. وهو نفس المصير الذى ينتظرك الآن .

أتدرى أنه كان من اليسير قتلك بسهولة فى أثناء وجودك فى قصر (أندريه) بدلا من تخديرك وإحضارك إلى هنا .. ولكننى أبقيت على حياتك ..

أتعرف لماذا ؟ لأننى لا أميل عادة إلى وسائل الموت التقليدية ، فهى لا تستهوينى ..

إننى أفضل أن أستعمل معك نفس الطريقة التى استعملتها مع أصدقائك من قبل .. فيكفى أن أحقنك بذلك السائل الذى قمت بإعداده بنفسى ، حتى أراك وقد تحولت إلى مجنون يهيم على وجهه فى هذه الصحراء .. ثم يقدم على قتل نفسك بعنف ووحشية .

رجَّح (ممدوح) عندئذ أن الرجل غير طبيعى .. وأنه ربما يكون مصابًا بحالة نفسية .

فرك (إدريس) يديه ، وأطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يأمر رجاله بإحضار الحقنة .

عندئذ ، وفى بطء شديد ، بدأ (ممدوح) يفك سوار الساعة الملتف حول معصمه .. ثم بحركة مسرحية فرد ذراعه أمام (إدريس) قائلا :

ــ هل تعتقد أننى أخشاك ؟.. ها هى ذى ذراعى مبسوطة أمامك .. لكنك لن تنجو أبدا من العقاب .

وفى مثل لمح البصر انتزع (ممدوح) الزر الخاص بتشغيل عقارب الساعة التى لم تكن فى حقيقتها سوى قنبلة إليكترونية صغيرة ، ثم نزع السوار المتصل بها من حول معصمه ، وألقاها على الأرض فى مواجهة (إدريس) ورجاله لتحدث دويا هائلا .

وفى غمرة الاضطراب الذى أحدثه الانفجار المفاجئ ، اندفع (ممدوح) كالسهم ، وقفز فوق احد الجياد التى كانت تقف على مقربة ، وانطلق به بعيدًا فى الصحراء ، لا يلوى على شىء .

* * *



٨ ـ اجتماع فى الرباط ..

استشاط (إدريس) غضبًا وهو يرى أحد أصابعه وقد طارت من جراء الانفجار .. وأخذ يصرخ فى رجاله قائلا :

ـ أحضروا لى هذا الوغد بأى ثمن .. أريده حيا .

فانطلق بعض أعوان (إدريس) بجيادهم خلف (ممدوح) ، الذى كان قد سبقهم بقدر كاف .

وأخيرًا لاح لهم جواده على مبعدة ، فأخذوا يلهبون ظهور جيادهم لملاحقته .

وعندما أصبحوا على مسافة قريبة منه أشار لهم الرجل الذى كان فى المقدمة بالتوقف قليلا :

ـ لقد خدعنا ذلك الثعبان .. فالجواد بدون راكب .. فلنبحث عنه قبل أن يحل الظلام ، فلن يستطيع أن يظل مختبئا فى هذه الصحراء المكشوفة .



أما (ممدوح) فكان فى هذه اللحظة مختبئا فى إحدى الكثبان الرملية المنتشرة فى الصحراء ، وقد دفن جسده بأكمله فى الرمال تاركا فجوة صغيرة تسمح له بالتنفس .

ظل (ممدوح) فى مكانه حتى خيم الظلام على الصحراء ، وخفتت أصوات الجياد .. وقال يحدث نفسه :

ـــ يبدو أنهم قد يئسوا من العثور علىّ .

نهض من مكانه ، وهو ينفض عنه الرمال ، ثم شرع يسير فى الصحراء على غير هدى .

كان الجوع والعطش قد أخذا منه كل مأخذ ، وبدا منهكا للغاية .. وبعد مسيرة ساعة وجد نفسه وقد خارت قواه ، ولم تعد أقدامه تقوى على حمله .. فكبا على ركبتيه ، ثم تحامل على نفسه ، وحاول النهوض .. غير أنه كبا مرة أخرى .. ثم ما لبث أن سقط على وجهه ، وراح فى غيبوبة تامة ..

لبث (ممدوح) على هذه الحالة زهاء الساعتين ..

حتى مرت به إحدى القوافل البدوية ، التى كانت تعبر الصحراء متجهة نحو الشمال .. وأشار زعيم القافلة لرجاله بالتوقف ، عندما لمح جسد (ممدوح) ممددًا فوق الرمال .

طلب زعيم القافلة إحضار (زمزمية) المياه ، وأخذ يقطر منها بضع قطرات فى فم (ممدوح) .. ثم أمر بحمله فوق ظهر أحد الجمال .

ثم استأنفت القافلة سيرها نحو الشمال .

أفاق (ممدوح) ليجد نفسه فى أحد الخيام البدوية ، وإلى جواره زعيم القبيلة ، وبعض أفرادها ، فشكرهم على إنقاذه ، راجيا منهم مساعدته فى الوصول إلى العاصمة المغربية (الرباط) .

أجابه زعيم القبيلة إلى طلبه ، وأمر بتخصيص أحد الجمال ومرشد ، لمساعدته فى الوصول إلى أقرب مدينة للصحراء ، حيث استقل (ممدوح) من هناك سيارة أقلته إلى العاصمة المغربية .

وفى (الرباط) اتصل (ممدوح) بالسفارة المصرية فى المغرب ، التى اتصلت بدورها بالقاهرة .

وفى اليوم التالى وصل اللواء (مراد) ومعه عدد من المسئولين إلى المغرب للاجتماع بـ (ممدوح) .

وبعد عدة اتصالات كان هناك اجتماع فى إدارة الأمن العام المغربى ، يضم مجموعة الأمن المصرية وعددا من المسئولين المغاربة .

قال لهم اللواء (مراد) :

ـــ أعتقد أن واجبنا الآن هو أن نتكاتف جميعا كأجهزة أمن عربية لوضع نهاية لذلك المجرم الدولى .

المسئول المغربى :

ـــ لقد قمنا بمسح المنطقة التى حددها لنا المقدم (ممدوح) بطائرات الهليكوبتر .. لكن البحث لم يسفر عن شىء .. فلا يوجد أى أثر لـ (الهادى إدريس) ورجاله .

ممدوح :

ـــ هل يمكن أن يكون قد فرّ عن طريق الحدود ؟

المسئول المغربى :

ـــ ربما .. وربما أنه قد اتجه إلى الداخل حيث يكون مختفيًا الآن فى إحدى المدن الكبرى فى المغرب .

اللواء (مراد) :

ـــ لو حدث ذلك فإن الأمر سيزداد صعوبة بالنسبة لنا .

المسئول المغربى :

ـــ عموما ، فقد أصدرت أوامرى بتشديد الحراسة على الحدود .. كما أمرت بتكثيف حملات البحث عن (إدريس) داخل العاصمة والمدن المحيطة بها .

قال (ممدوح) موجها حديثه إلى المسئول المغربى :

ـــ سيادة اللواء .. هل يمكننى أن أصاحب أحد الطيارين لمعاودة البحث فى الصحراء .

المسئول المغربى :

— كما تحب .. يسعدنا أن نضع إمكاناتنا كافة تحت تصرفكم .

* * *



٩ — فى باطن الجبل ..

أخذ (ممدوح) مكانه بجوار قائد الطائرة الهليكوبتر التى جعلت تحلق فوق المنطقة الصحراوية التى حددها (ممدوح) ، وهو يمسح المكان بنظارته المكبرة على غير طائل ..

قال (ممدوح) يحدث نفسه :

— لقد كان من الغباء تصور بقائهم فى المنطقة على هذا النحو .

وقبل أن يطلب (ممدوح) من قائد الطائرة التأهب للعودة .. لمح بواسطة المنظار المكبر إحدى المناطق الجبلية التى تقع على مشارف الصحراء .. فعاد يطلب من الطيار التوجه إليها .

حلقت الهليكوبتر بالقرب من سلسلة الجبال الصخرية ، وأخذت تدور حولها ببطء ، فى حين استمر

(ممدوح) فى كشف المكان بمنظاره المكبر .

وأثار انتباهه باب خشبى قديم يرقد فى بطن الجبل ، تكاد تخفيه الصخور المحيطة به .

وسأل (ممدوح) قائد الطائرة عن سبب وجود هذا الباب الخشبى فى ذلك المكان ، وعما يمكن أن يخفى خلفه .

قائد الطائرة :

ـ هذا الباب يفضى إلى داخل أحد الأديرة القديمة التى كان يقطنها من قبل بعض الرهبان .. ولكنه أصبح الآن مهجورا بعد أن رحل الرهبان عنه منذ عشرات السنين .

ممدوح :

ـ وهل ظل الباب مغلقا على الدير المهجور طوال هذه السنوات ؟

قائد الطائرة :

ـ كل ما أعرفه أن وعورة المكان حالت دون

الوصول إلى الدير لكشف ما بداخله .. حتى أنه صار يطلق عليه (دير الأسرار) لأن الأساطير تكتنفه ، وتصوره على أنه يضم العديد من الأسرار الغامضة .

ممدوح :

ـ حسنا ، أيمكنك أن تهبط بى بالقرب من هذه الجبال فى المنطقة الواقعة أسفل الدير ؟ ولكن على مسافة بعيدة عن الأنظار .

قائد الطائرة :

ـ لماذا ؟

ممدوح :

ـ سأحاول تسلق الجبل والوصول إلى الدير لكشف ما به من أسرار .

قائد الطائرة :

ـ ولكن وعورة الجبل شديدة .. وفوق ذلك فأنت تحتاج إلى أدوات تسلق ..

ممدوح :

ـ إن ما معى يكفى لأداء المهمة .

قائد الطائرة :

ـ هل تظن أن (إدريس) يمكن أن يكون مختبئا فى ذلك المكان ؟

ممدوح :

ـ إنه مجرد خاطر تقودنى إليه حاسة سادسة أكشفها فى نفسى دائما فى مثل هذه المواقف .. كما أن المكان يبدو مثاليا للاختفاء بالنسبة لرجل مثل (إدريس) وعصابته ، فضلا عن قربه من المنطقة الصحراوية التى وقعت فيها الأحداث الأخيرة .

قائد الطائرة :

ـ ولكنك تعرض نفسك لمخاطرة كبرى لمجرد احتمال قد تكون نسبة خطئه أكبر من صوابه .

ابتسم (ممدوح) قائلا :

ـ إننى معتاد على المخاطر .. وما دام هناك احتمال كما تقول فعلينا أن نسير وراءه ..

قائد الطائرة :

ـ ليكن ما دمت مصرًّا .

هبطت الهليكوبتر بـ (ممدوح) بالقرب من المنطقة الجبلية .

وقال قائد الطائرة لـ (ممدوح) :

ـ أتريد أن أنتظرك هنا أم أتابعك من بعيد ؟

ممدوح :

ـ بل ستظل محلقا من بعيد ، وإذا توصلت لشىء فسأتصل بك بجهاز اللاسلكى ؛ لكى تجرى اتصالاتك بقوات الأمن المغربية للحضور لاقتحام المكان .

أما إذا لم تفض بنا تلك المغامرة إلى شىء فسوف تعود لالتقاطى .

شرع (ممدوح) فى تسلق الجبال الصخرية مستعينا بالقفازات المغناطيسية التى تساعد فى تثبيت قبضات اليد فوق الصخور بأجهزة الضغط الهوائى .. وهى إحدى اختراعات الإدارة .

وبرغم ذلك تعرض (ممدوح) للسقوط ، عندما تعلقت أطراف أحد القفازين بحافة الصخر المدببة ، وأفلتت منه يد (ممدوح) .

ولكنه ظل معلقا بالقفاز الآخر حتى استطاع أن يستعيد توازنه من جديد ، ويتابع عملية التسلق الشاقة .

وما أن شارف (ممدوح) على الوصول إلى الدير حتى وقف قليلاً يلتقط أنفاسه فوق أحد النتوءات الصخرية .

غير أنه لم ينعم طويلاً بالراحة .. إذ برز له فجأة من خلف الصخور رجل مسلح ، يبدو أنه كان يتولى الحراسة ، بالقرب من الدير .

وجد (ممدوح) نفسه وجها لوجه أمام الرجل المسلح ، الذى أسرع بتصويب بندقيته نحو (ممدوح) .

ولكن (ممدوح) ـــ برغم المفاجأة ـــ كان أسرع منه ، فقام بتصويب مديته ذات النصل الطائر نحو صدر الرجل .. وضغط على زر المدية ، لينطلق نصلها مستقراً فى صدره .



.. ولكن (ممدوح) برغم المفاجأة ، كان أسرع منه ، فقام بتصويب مديته ذات النصل الطائر نحو صدر الرجل ..

قال (ممدوح) لنفسه وهو ينظر إلى الرجل الملقى فوق الصخور :

ـ إذن فنحن على الطريق الصحيح .

وواصل (ممدوح) عملية التسلق حتى بلغ الباب الخشبى الكبير ، المؤدى إلى الدير .. غير أنه وجده موصدًا من الداخل .

وبرغم وعورة المكان ، عاد (ممدوح) للهبوط من جديد إلى حيث كان يرقد الرجل الملقى بين الصخور ، وراح يفتش بين ثيابه حتى عثر على مفتاح الدير معلقا فوق صدره .

وأخذ المفتاح قائلا لنفسه :

ـ أدعو الله أن يكون هذا المفتاح مؤديا إلى (إدريس) .

وعاد إلى باب الدير من جديد ليدير المفتاح ، وليجد الباب يفتح أمامه .

دخل (ممدوح) إلى ما يشبه الكهف المظلم ، وهو

يتحسس طريقه ، إلى أن رأى أمامه عددًا من القباب الزجاجية على الطراز الأندلسى القديم ، أقيمت فوق سطح الأرض الجبلية ، على مسافة متر واحد منها .

وجلس (ممدوح) أمام القباب التى كان يعلو زجاجها طبقة كثيفة من الأتربة ، أخذ يزيحها بيديه .. ثم نظر من خلال زجاج القبة ليرى غرفة تضيئها القناديل تحت الأرض ، وبها بعض رجال القبائل المسلحين .

ومن خلال إحدى القباب الأخرى رأى معملا كيميائيا كاملا مزودا بالعديد من الأجهزة والمعدات .. ورأى (إدريس) وهو يدخل إلى المعمل .

تمتم (ممدوح) قائلا :

ـ لقد كانت حاستى صادقة .

واتصل بقائد الهليكوبتر بواسطة اللاسلكى ، ليخبره بعثوره على وكر (الهادى إدريس) طالبا منه تنفيذ ما تم الاتفاق عليه .

وراح (ممدوح) يبحث عن الطريق المؤدى إلى

أسفل هذه القباب .. وبينما كان مستغرقا فى البحث .. انشقت إحدى الكتل الصخرية فجأة ليبرز من ورائها بعض المسلحين الذين فوجئوا هم أيضا بوجوده .. وقبل أن يتمكن من الإتيان بأى حركة كانوا يحيطون به شاهرين بنادقهم الآلية ومدافعهم الرشاشة .

* * *



١٠ ــ صراع فوق الصخور ..

اقتاد الرجال (ممدوح) خلال الممر الصخرى إلى حيث حجرات الدير التى استغلها (إدريس) وأعوانه كمقر لهم .

وأنهى أحدهم (للهادى إدريس) الذى كان فى معمله نبأ العثور على (ممدوح) ..

هرول (إدريس) من معمله إلى حيث كان رجاله يحيطون (ممدوح) بأسلحتهم .. ووضع يديه فى جيب المعطف الذى يرتديه وهو ينظر إلى (ممدوح) ، وعلى وجهه ابتسامة المنتصر قائلا له :

ــ لقد بدأت أعجب بشجاعتك أيها الرجل ، فهأنتذا تعود إلى مطاردتى من جديد ، برغم الفرصة التى سنحت لك عندما نجحت فى الهروب منى فى الصحراء .

ولكن مع الأسف يبدو أنك سيئ الحظ ؛ لأن تلك الفرصة لن تتاح لك مرة ثانية .

رد عليه (ممدوح) بتحدٍّ :

ـ إن هروبى لم يكن سوى هدنة مؤقتة ، لأننى لم أكن لأدعك تفلت من يدى ، وأعتقد أنك أنت الذى تحتاج إلى الكثير من الحظ للإفلات مما ينتظرك .

أطلق (إدريس) ضحكة عالية ، وهو يجلس على أحد المقاعد ، واضعا يديه على صدره .. ناظرًا إلى (ممدوح) بسخرية وهو يقول :

ـ إنك تملك الكثير من الشجاعة بالفعل لكى تردد هذه الكلمات ، فى الوقت الذى يحيط بك كل هؤلاء الرجال المسلحين ، وفى تلك المقبرة التى ترقد فى باطن الجبل .

ولكن مع الأسف أيها الصديق ، فالشجاعة وحدها لن تجديك شيئا فى هذا الموقف الذى أنت فيه الآن .. ولكنها ستكون محل تقدير عندى ؛ لأننى سأخصك

بأسلوب متميز للموت ، يتناسب مع تلك الشجاعة التى أرجو أن تظل محتفظا بها حتى النهاية .

إن الأمر سيحتاج منى إلى ساعة واحدة فى معملى ، بعدها ستكون وسيلة الموت المتميزة جاهزة فى انتظارك .

ثم أشار لرجاله قائلا :

ـ قيدوه بالحبال ، وألقوا به فى القبو .

اقتاد الرجال (ممدوح) إلى قبو مظلم ، حيث قاموا بتقييده بالحبال ، ثم ألقوا به على الأرض ، وتركوه وحده بعد أن أغلقوا القبو دونه ..

راح (ممدوح) يزحف على الأرض ، وهو يبحث عن أى شىء يعينه على التخلص من قيوده دون جدوى .

وبعد ساعة فتح باب القبو ليدخل منه (إدريس) ، ومعه مجموعة من رجاله ..

كان أحدهم يحمل أحد القناديل المضيئة ، والآخر يحمل صندوقا زجاجيا كبيرًا يضم عشرات الفئران الجبلية المتوحشة ، والثالث يحمل حوضًا معدنيا عريضًا ،

مثبتا به عدد من الأنابيب الزجاجية ، التى تحتوى على سائل ما ..

جلس (إدريس) على ركبتيه وهو يقترب من (ممدوح) الملقى على الأرض ، ثم طرقع بأصابعه ، فقرّب الرجل إليه حوض الأنابيب الزجاجية فتناول إحداها ، وقربه من وجه (ممدوح) قائلا :

ــ لقد وفيت بوعدى لك يا صديقى ، وأعددت لك ما يناسبك .. أترى هذا السائل ؟ إنه يحتوى على مادة تثير شهية هذه القوارض المتوحشة ، بل تزيدها وحشية ، فتندفع لافتراس كل ما يمكن أن تقع عليه نقطة من هذا السائل .

والآن هل تعرف ما الذى سأفعله ؟ سألقى بضع قطرات من هذا السائل على كل جزء من أجزاء جسدك ، ثم أحرر هذه القوارض من صندوقها الزجاجى لنجلس أنا ورجالى نستمتع بمشاهدتها ، وهى تمزقك بأسنانها الحادّة .. وأرجو وقتها أن تظل محتفظا

بشجاعتك ، ثم ابتسم بسخرية وهو يحلق فيه قائلا :

ــ والآن بماذا نبدأ ؟.. آه .. لقد تسببت فى بتر إصبعى فى أثناء هروبك ، فلنبدأ إذن ببعض أصابع يدك اليمنى .

ثم ألقاه على ظهره جاعلا يديه المقيدتين إلى الخلف ، وهو يتأهب لممارسة لعبته الأجرامية .

ولكن لم يكد يبدأ حتى دوى من الخارج صوت زجاج يتحطم ورصاص ينطلق وصرخات تملأ الأرجاء .

قطّب (إدريس) حاجبيه وتساءل فى دهشة قائلا :

ــ ما هذا ؟

وفجأة اندفع إليه أحد رجاله مهرولا وهو يصرخ فى ذعر :

ــ سيدى (إدريس) ، إن رجال الشرطة قد اقتحموا المكان ويطلقون النيران على رجالنا .. لقد ضعنا يا سيدى .

أسقط فى يد (إدريس) ونظر إلى الرجل فى حيرة ثم

إلى (ممدوح) فى تردُّد .. وما لبث أن ألقى بالأنبوبة الزجاجية على الأرض صارخًا فى رجاله :

ــ فلنسرع بالهروب من البوابة الغربية .

ألقى الرجال بكل ما معهم ، وأسرعوا بالفرار خلف زعيمهم .

أما (ممدوح) فقد اغتنم فرصة تركهم للقنديل الزجاجى على الأرض ، فأسرع يزحف نحوه ، ليلقى به برأسه فوق القش الذى يغطى أرضية القبو ، وما لبث أن اشتعل النار فى القش .

زحف (ممدوح) مقتربًا بيديه المقيدتين من النيران المشتعلة ، وتحايل حتى نجح فى حرق الحبال الملتفة حول معصمه ، حتى تخلص من قيوده .

وأسرع بفتح باب القبو ، والصعود إلى أعلى ، حيث كانت المعركة ناشبة بين قوات الشرطة ورجال (إدريس) .

ولمح (ممدوح) الرائد (رفعت) وعددا من رجال

(المكتب ١٩) وهم يقاتلون إلى جانب رجال الشرطة المغربية .

ورأى الرائد (رفعت) يصوب طلقات مسدسه نحو أحد الرجال المسلحين ، فأصابه فى كتفه الذى أمسك به متألما .

وعندما رأى (رفعت) (ممدوح) أمامه هتف قائلا :

ــ (ممدوح) حمدًا لله على سلامتك !!

ولكن (ممدوح) اندفع نحوه ، وانتزع المسدس من يديه وهو يضعه على جبهة الرجل المصاب قائلا له :

ــ أين توجد البوابة الغربية للدير ؟

ونظر إليه الرجل وهو يتألم دون أن ينطق بكلمة ..
ولكن (ممدوح) ضغط بفوهة المسدس على جبهة الرجل قائلا له :

ــ أتتكلم أم أفرغ طلقات هذا المسدس فى رأسك ؟

قال له الرجل :

ـ إنها خلف الجدار الصخرى فى نهاية هذا الممر الممتد أمامك .

قال (ممدوح) لـ (رفعت) الذى كان واقفا إلى جواره :

ـ أحضر عددًا من الرجال ، واتبعنى قبل أن يفلت الصيد منا .

وأسرع (ممدوح) يعدو فى الممر داخل الدير ، وخلفه (رفعت) وعدد من زملائه ، حتى وصلوا إلى الجدار السرى الذى يبدو أن (إدريس) ورجاله قد تركوه مفتوحا فى أثناء فرارهم .

ووجدوا خلف الجدار منحدرا صخريا يؤدى إلى أحد الأودية على الجانب الآخر من الجبل .

كان (إدريس) والمجموعة التى تبعته من رجاله فى هذه الأثناء قد بدءوا يهبطون المنحدر الصخرى إلى أسفل .

وتبعهم (ممدوح) وزملاؤه الذين أخذوا يهبطون خلفهم .

وعندما رآهم (إدريس) أمر رجاله بإطلاق النيران عليهم لإعاقتهم عن الاستمرار فى المطاردة .

وأخذ الطرفان يتبادلان إطلاق النيران ، وقد اتخذ كل منهم موقعه بين الصخور .

انتهز (إدريس) فرصة انهماك الجميع فى هذه المعركة ، واستأنف هبوطه إلى أسفل محتميا بالصخور المتعرجة .

ولمحه (ممدوح) فألقى بمسدسه بعد أن فرغت رصاصاته .. وأسرع يتبعه سالكا طريقا مختصرا ومحتميا بدوره بالصخور .

وإن هى إلا لحظات حتى وجد (إدريس) نفسه فجأة أمام (ممدوح) ، الذى برز له من وراء صخرة كبيرة ، ليقطع عليه الطريق ، ويقول له :

ـ لقد قلت لك : إنك لن تفلت من يدى .



.. انتهز (ممدوح) فرصة اندفاع (ادريس) إلى الأمام
ليضربه بكلتا يديه على مؤخـرة رأسه ..

استلّ (إدريس) خنجره المعلق فى حزامه ، وشرع يدور حول (ممدوح) الذى لم يحول ناظريه عن الخنجر ، وهو يتراجع إلى الخلف .

واصل (ممدوح) تراجعه ، وظهره فى مواجهة المنحدر الجبلى ، حتى أصبحت قدماه تقفان على حافة المنحدر ، و (إدريس) يتقدم أمامه ، وهو يلوح بالخنجر فى وجهه ، ثم فى حركة فجائية اندفع (إدريس) ليطعن (ممدوح) فى صدره .. ولكن (ممدوح) تفاداه فى حركة بارعة ، وألقى بجسده إلى الأمام بعيدًا عن نصل الخنجر الحاد .

انتهز (ممدوح) فرصة اندفاع (إدريس) إلى الأمام ليضربه بكلتا يديه ضربة قوية على مؤخرة رأسه ، أدت إلى اختلال توازنه ، ليسقط من فوق المنحدر الجبلى فوق الصخور ، وقد تحطمت عظامه .

وشرع (ممدوح) يتسلق الجبل عائدًا إلى زملائه بعد أن مكنته الأقدار من الانتقام لصديقيه ..

★ ★ ★

١١ ـ مفاجأة فى القاهرة ..

وفى القاهرة جلس المقدم (ممدوح) فى مكتبه بالدور الرابع من إدارة العمليات الخاصة يعد تقريره عن العملية الأخيرة ، بعد أن حصل على إجازة قصيرة .

وبينما هو منهمك فى كتابة تقريره دخل عليه الرائد (رفعت) قائلا :

ـ ألا تزال جالسا إلى مكتبك ؟

ممدوح :

ـ وما الذى تريد منى أن أفعله ؟

رفعت :

ـ تنهض فورا فتأتى معى ، فنحن مدعوان لتناول الغداء لدى أحد أصدقائنا .

ممدوح :

ـ مدعوان للغداء ؟! ترى من هو صاحب هذه الدعوة ؟

رفعت :

ـ ستعرف عندما نصل إلى مكان الدعوة .

ممدوح :

ـ إنك دائما تقول هذه الكلمة .. ستعرف عندما نصل .. يبدو أنك تبالغ فيما تعلمته هنا عن استخدام وسائل السرية .

رفعت :

ـ وهذه المرة بالذات أنا مصر على إحاطة هذه الدعوة بالسرية .

ممدوح :

ـ ولكننى منهمك كما ترى فى إعداد التقرير الذى بين يدى .

رفعت :

ـ لقد حصلت لك على إذن من سيادة اللواء بالانصراف مبكرا ، وتكملة التقرير غدا .

ممدوح :

ــ ولكن ...

وقبل أن يكمل جملته رن جرس التليفون على مكتبه ليسمع على الطرف الآخر صوت اللواء (مراد) قائلا :

ــ (ممدوح) .. هل ما زلت جالسا فى مكتبك .. هناك دعوة موجهة إليك للغداء ، عليك أن تلبيها فورا .. هذا أمر . .

ثم وضع سماعة التليفون .

ونظر (ممدوح) إلى السماعة ، ثم إلى (رفعت) فى تساؤل .. فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يتلقى فيها أوامر من اللواء (مراد) لتلبية دعوة شخصية .

وهزَّ (ممدوح) كتفيه ، ثم أعاد أوراقه داخل أدراج مكتبه ، ونهض متجها مع (رفعت) إلى الخارج فى طريقهما لتلبية هذه الدعوة الإجبارية .

وقف (رفعت) بسيارته أمام إحدى العمارات قائلا لـ (ممدوح) :

ــ ها قد وصلنا إلى مكان الدعوة ، أرجو أن يكون

الطعام معدًا ؛ لأننى أتضور جوعًا .

نظر (ممدوح) إلى المبنى قائلا :

ــ إنه منزل المقدم (رءوف) ؟

قال له (رفعت) نافد الصبر :

ــ هل ستظل واقفا هكذا ؟. هيا بنا نصعد فقد قلت لك : إنى جائع .

وصل (رفعت) و (ممدوح) إلى شقة المقدم (رءوف) حيث قال له (رفعت) :

ــ هل تسمح بأن تضغط على جرس الباب حتى أغلق باب المصعد ، فقد تركته مفتوحا ؟

وضغط (ممدوح) على جرس الباب ، وما هى إلا ثوان حتى انفتح الباب ليجد (ممدوح) المقدم (رءوف) واقفًا أمامه وهو يبتسم .

نظر إليه (ممدوح) غير مصدق .. وهتف قائلا :

ــ (رءوف) !! هل ؟!

احتضنه المقدم (رءوف) قائلا :

ـــ نعم يا (ممدوح) لقد شفيت من مرضى ، وأصبحت الآن سليمًا معافى ..

ووقف الرائد (رفعت) بجوارهما قائلا :

ـــ هذه هى المفاجأة التى أعددتها لك .. لقد أخطرتنا المستشفى منذ يومين بنجاحهم فى علاج المقدم (رءوف) من الآثار المتخلفة عن السائل الكيميائى ، المختلط بالخلايا العصبية ، وبأنه لم تعد هناك حاجة لبقائه فى المستشفى .

ممدوح :

ـــ حمدًا لله على سلامتك .

رءوف :

ـــ وسلامتك أنت الآخر ؛ فقد كانت العمليّة الأخيرة ـــ كما بلغنى ـــ فى غاية الخطورة .

رفعت :

ـــ هل سنظل واقفين على الباب هكذا ؟ أين الطعام ؟.. إننى جائع للغاية .

وضحك الأصدقاء الثلاثة ، وهم يدخلون إلى الشقة ، فى الوقت الذى كانت فيه زوجة المقدم (رءوف) تعد لهم الطعام .. وكان طفله الصغير يقفز بين المقاعد فى مرح وبراءة .

* * *

(تمت)

المؤلف

أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم (١٩)

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

● الانتقـام الدامى ●

وفجأة برز له من خلف البراميل عملاق ضخم تنطق ملامحه بالشر والوحشية ، وقد أمسك فى يده حربة حادة لمعت سنها المدببة فى الظلام .

وفى بطء بدأ (ممدوح) يتراجع إلى الخلف وهو ينقل نظره إلى الرجل تارة وإلى الحربة تارة أخرى متأهبا لأية حركة فجائية .



العدد القادم : الطائرة المفقـودة